علي عثمان

الكتاب الخامس
٢٠١٧/٨/٢١
Twitter: @abdulllah1994

المرأة العربيّة عبر التاريخ

دار التضامن
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت

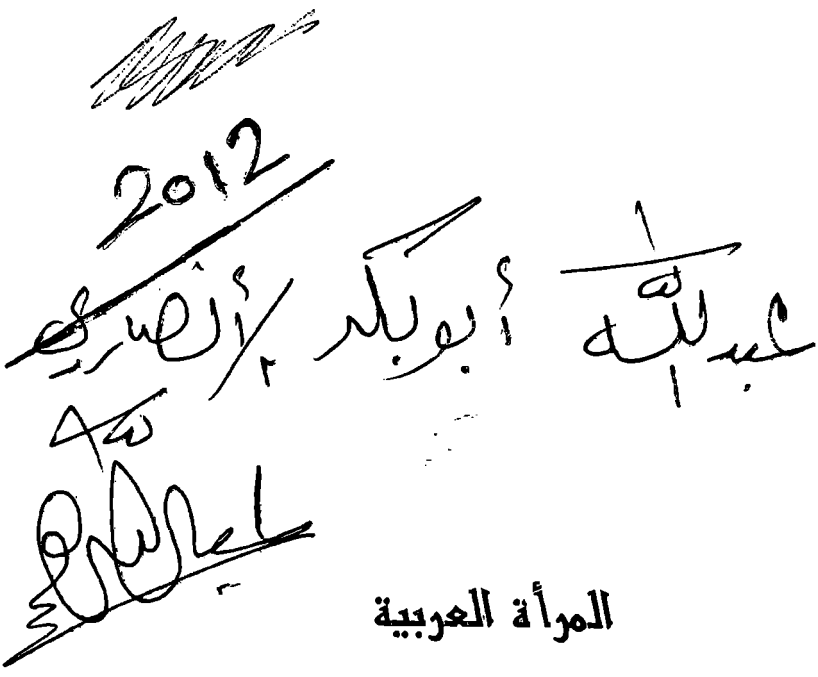

المرأة العربية

عبر التاريخ

Twitter: @abdullah1994

دار التضامن

الطبعة الأولى ١٩٧٥

الطبعة الثانية آب ١٩٧٦

Twitter: @abdulllah1994

الكتاب و المؤلف

بقدر ما حيرت المـرأة ، وستبقى تحير ، البـاحثين في عالمها المليء بالاسرار ، بقدر ما حيرني علي عثمان ... حين أراد ان تكون هـذه الكلمة المتواضعـة ، في حـدود صفحة واحـدة ...

فالمرأة ، قديما وحديثا وآتيا ، لا تكفي ملايين الكلمات للحديث عنهـا .

لذلك ، أكتفي بالقول : ان هذا الكتـاب لجدير بالدرس والتأمل ، لأهمية الموضوع الذي يتناوله ...

اما مؤلفه ... علي عثمـان ... فحسبه فخرا دأبـه المعروف عنه ونشاطه الموصول في البحث والدراسة .

اني أرى فيه كاتبا سيكون في المستقبل كبيرا .

أحمد عبد أحمد

Twitter: @abdullah1994

الإهداء

إلى زوجتي الوفية ، التي هيأت
لي من سبل الراحة ، ما مكنني من أن
أنجز هذا الكتاب وغيره من الأعمـــال
العلميـــة ، تحية حب متجدد ووفاء
مستديم .

Twitter: @abdulllah1994

١ – مدخل الى الموضوع :

ان مفاهيم العصر الحديث قد أولت المـــرأة اهتمـــاما خاصا ، فقد جاءتنا مفاهيم الحضارة الحديثة بمفاهيم وقيم من حيث علاقة المرأة والرجل تختلف كـل الاختـلاف عن تلك من حيث علاقة المرأة والرجل تختلف كـل الاختـلاف عن تلك التي اعتدنا عليها في الجيل الماضي ، فقد كانت المرأة آنذاك لا يجوز ان تبدي رأيها في أمر زواجها وان أهلها هـم الذين يفاوضون في زواجها ٠

بل ان الاتجـــاه القديم للمـرأة ، سواء في الشرق أو الغرب ، كان ينظر اليها باعتبار انها تـابعة للرجـل ، وانها خلقت للبيت ، وفي أمم الشرق القديمة بولغ في هذا الاتجاه حتى انتهى الى ان المـــرأة انثى فقـط تزود الرجـل بلذاته الجنسية ، وفي هذا قال شاعر عربي :

ما للنســاء وللخطـابة والقـراءة والكتـــابة
هــذا لنـا ولهــن منـــا ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

ولم يكن العرب منفردين في هذا النظر ، فـان اوروبا كانت تنظر الى المرأة هذه النظرة في القرون الوسطى (٢)٠

ونظرا لاهتمام الجيل الحاضر في مساواة أو عـدم مساواة الرجل بالمرأة ، رأيت ان أخوض في هذا الموضـوع بما قل ودل ، أبحـــث فيه مركز المـــرأة عبر التاريخ في المجتمعات الانسانية منتهيا الى الوقت الحاضر ، محـاولا اعطاء صورة متزنة قدر الامكان ، فان كان هناك من نقص أو تقصير فأنا الملوم وحسبي اني حاولت فهو موضوع شامل

---

(١) د٠ علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج١ ص ٢٩٢ ــ ٢٩٤ بغداد ١٩٦٩ م٠

(٢) سلامه موسى ، هؤلاء علموني اقرأ ١٩٧٢/٣٤٩ م ٦١ـ٦٢ ٠

Twitter: @abdullah1994

متعدد الجوانب ٠

لقد قيل في المرأة الكثير من الاقوال ومهما سخط البعض فانها الصديق الذي يمنحه الاله للرجل ، فهي خليلة الشباب وصديقة الكهولة وممرضة الشيخوخة « هي حياة التي يمتلكها كل البشر وكالموت تتغلب على كل البشر وكالابدية تضم كل البشر ٠ » (٣)

يقول عباس محمود العقاد « ان المرأة مرت في أطوار عديدة منذ أقدم العصور التي غبرت قبل التاريخ ، هذه العصور التي لا تاريخ لها غير مجهولة اذا قسناها الى حالة القبائل الهمجية في العصر الحاضر فلا حاجة الى الخبط في الظلام للبحث عن أطوار المرأة فيما قبل التاريخ لان هذه الاطوار شبيهة بالاطوار اللاحقة بها في العصور التاريخية ، وقد تعيش معنا اليوم قبائل ، لم تزل في أول مراحل الاجتماع التي سجلها المؤرخون ولم يبد منها انها تغيرت خلال هذه العصور فاذا قلنا ان تطور المرأة في جميع العصور القديمة ماثل أمامنا بالمشاهدة أو بالقياس على المشاهدة ، لم نبتعد عن الصواب » ٠

ان قول الاستاذ المرحوم قد تناسى التفاوت بين الحضارات القديمة وبين المناطق الاخرى التي كانت تفتقر الى مثل هذه الحضارات وتغير مركز المرأة تبعا لذلك فالمشاهدة والقياس «لقبائل تعيش معنا الآن في أول مراحلها» لا يمكن ان تعطينا صورة واضحة وهي في الواقع ظلم للحضارة وللتاريخ ونحن في محاولتنا هنا سنحاول طرح المرأة في كل حضارة على حدة حسب التسلسل التاريخي ، وما التوفيق الا من عند الله ٠

(٣) البدائع والطرائف ، جبران خليل جبران ص ٥٠ ٠

Twitter: @abdullah1994

المرأة في العصور القديمة

١ ـ خلق المرأة والمرأة في العصور الحجرية وفترة توسع الحضارة : ـ

أ ـ قصة خلق المرأة :

خلق الله سبحانه وتعالى آدم من أدمة الارض ونفخ في وجهه نسمة الحياة ، وقال ان آدم لا يصلح ان يكون وحده ولكن اصنع له عينا مثله فألقى عليه السبات فأخذ احد اضلاعه ومن الضلع الذي أخذه خلق المرأة فقربها من آدم فقال : عظم من عظامي ولحم من لحمي ، ومن أجل ذلك يترك الولد أباه وأمه ويتبع امرأته ويكونان كلاهما جسدا واحدا ٠ (١)

وقد علق قاسم أمين على هذه القصة بقوله :

« جاء في القصص الدينية المسطورة في الكتب السماوية ان الله خلق حواء من ضلع آدم ـ وفي هذا على ما أظن ـ رمز لطيف الى أن الرجل والمرأة يكونان مجموعا واحدا لا يتم الا باتحادهما ٠٠٠٠ » *

ونحن بعد هذه الاشارة الدينية السريعة ، عن خلق المرأة وتعليق قاسم أمين اللطيف عليها ، نترك القصص الدينية وشأنها وندخل في الحديث عن المرأة حسبما كشفت لنا عنها الآثار المادية في عصور ما قبل التاريخ ، وأقدم ما

(١) ابن قتيبه ، المعارف ص ٦ـ٩ ، انجيل متى ، الاصحاح ١٩ ٠
(*) قاسم امين ، تحرير المرأة ص ٥٢ ، دار المعارف ١٩٧٠ م٠

Twitter: @abdulllah1994

كشفته الآثار عن المرأة يعود للعصر الحجري القديم ومنه نبدأ ٠

٢ ـ همجية العصر الحجري القديم : ـ

نحت الغرافيثيون تماثيل صغيرة للنساء والملامح الجنسية ظاهرة فيها بشكل بارز ومن المؤكد انها استعملت في بعض المراسيم المتعلقة بالخصب لتضمن تكاثر حيوانات الصيد ويرى زامياتين انها كانت قسما من روايات رمزية تقلد عملية التوالد وبالتالي تؤدي الى هذه العملية بصورة سحرية وعلى كل فانها تدل دلالة اكيدة على ان الفرافيتية عرفوا وظيفة المرأة في التوالد ورغبوا أن تتبع هذه الوظيفة عن طريق السحر تتمثل الحيوانات والنباتات التي تغذيهم وفي القبائل المتوحشة في هذا العصر كان التناسل أحيانا يعتبر عن طريق الذكر وأحيانا عن طريق الانثى وكان نظام زواجهم من بعضهم البعض مبني على التصنيف « في أغلب الاحيان فلا يعتبر الاب الطبيعي وحده أبا وانما جميع الاعمام والاخوال ويعتبرون آباء للولد الذي تنجبه المرأة في مجتمعهم » ٠

٣ ـ بربرية العصر الحجري الحديث : ـ

كانت وظيفة المرأة في بربرية العصر الحجري الحديث ان تجمع ضمن الاشياء الصالحة للاكل بذور الحشائش البرية التي أورثتنا القمح والشعير (٢) وفي هذا العصر استخدمت المرأة النول وكما يقول جوردون تشايلد : « وصنع الخزافون من طينهم الطري وبأيديهم الحاذقة اشكالا جديدة

(٢) ماذا حدث في التاريخ ، جوردون تشايلد ، ت جورج حداد ، الشركة العربية للطباعة والنشر (٤٤) ٠

Twitter: @abdullah1994

مستوحاة من أواني قديمة مصنوعة من الخشب أو الحجر الاملس والنبات ولكنها كانت لا تزال اشكالا عديمة القيود تفسح المجال للخيال المبدع ، ونسجت النساء من خيوطها أقمشة واستخدمن آلة محكمة الصنع وهي النول » ٠

اهتدى الناس في هذا العصر الى الجعة « البيرة » حتى ان المشروبات الروحية أصبحت ضرورية لمعظم المجتمعات في أوروبا وغرب آسيا منذ نحو عام ٣٠٠ ق٠م ، وظهرت مجموعة كاملة من الاواني والاباريق والاقداح والمصافي وأنابيب الشرب وأصبح استعمالها عادة مرعية اثناء حفلات شربهم ٠

كل هذا كان من صنع النساء كما يستنتج من الادلة الاتنوغرافية ولهن أيضا يمكن ان يعود الفضل في معرفة كيمياء صنع الخزف وفيزياء الغزل ، وميكانيكا الانوال والمعلومات النباتية المتعلقة بالكتان والقطن وذلك بالاستناد الى نفس الادلة الاتنوغرافية ، ومن جهة اخرى فان المآتي النسائية في مجتمعات ما قبل التاريخ وفي مجتمعات اخرى تشبهها في أوروبا وفي آسيا بأسرها حتى الصين قد اندمجت بحالات اخرى منسوبة الى الرجال في نظام اقتصادي واحد٠

أما تقاليد صناعة الخبز والبيرة والخزف في هذا العصر ، لم تكن تتضمن علوماً جديدة فهذه عندما كانت تنتقل من مجتمع لآخر كان كل مجتمع يضيف لها أسلوبه الخاص فلم يكن هناك مثلا أسلوبا عاما للخزافين وانما كانت توجد طرق لصنع الخزف ، بقدر ما كان هناك من مجتمعات ، حتى ولو كانت هذه التقاليد كمجرد تنوعات لاسلوب أساسي واحد ، فان النساء اللواتي كن ينقلنها لم يميزن في الغالب بين الاسلوب الاساسي والتحسينات الطارئة عليه ٠

Twitter: @abdullah1994

وكان يصنع أشكال مؤنثه من الطين أو تحفر في الحجر أو العظم من قبل مجتمعات نيوليتكية في مصر وسوريا وايران وحوض البحر المتوسط ، وجنوب شرق أوروبا حتى انجلترا ، هذه في العادة تمثل الآلهة الام ، فقد تصور لسكان ذلك العصر الارض امرأة يمكن أن تتأثر كما تتأثر المرأة بالاستعطاف والرشوة والاضاحي والتقدمات ، أما شريكها الذكر فكان يمثل فقط بواسطة الاعضاء الجنسية أو الحجر كانت تنحت في الاناضول والبلقان وانجلترا ٠

وعليه كان بين الشعوب القديمة في غربي آسيا وحوض المتوسط زواج يسمى الزواج الاحتفالي ، وكان يقتصر على زوجين منتخبين ، والذكر هنا يمثل القمح أو النبات بوجه عام ويصبح ملك القمح ولكنه بحبة القمح يجب أن يدفن ثم يبعث من جديد ، يعني ذلك قتله واحلال شاب قوي محله ، وهكذا يصبح بالتشخيص آلهات وآلهة ٠

يقول برستد « أما زراعة العصر الحجري المتأخر فكانت في الغالب منوطة بالنساء » ويضرب مثلا حيا على كلامه فيقول عن دور المرأة عند سكان البحيرات في سويسرا في هذا العصر ما يلي « فأصبحت نساء قرى البحيرات فلاحات زراعات وكانت الحبوب التي كن يزرعنها قليلة تنحصر في الدخن والحنطة والشعير ويظهر من الآثار ان هذا المورد الجديد كان غزيرا جدا » ويقول « وكانوا يزرعون الكتان ويستخرجون من نباته خيوطا كانت تصنع منه النساء نسيجا يخطن منه ملابس بدلا من الجلود التي كان يلبسها السلف (٣) ٠

(٣) العصور القديمة ، برستد ، بيروت ١٩٣٠ ، ص ١٧ـ١٨ ٠

Twitter: @abdulllah1994

وكتب تحت تأثير الزراعة في حياة الانسان الاجتماعية ما يلي : ـ

« وكانت الحقول باعثا جديدا على دوام حضـــارة سكان البحيرات ، فانها اضطرتهم الى الاقامة في جـوار مزارعهم الصغيرة التي عرفتها أيدي نسائهم » (٤) ٠

وبقيت المرأة المعول عليها في أعمال الزراعـــة حتى استعمل الحيوان وسكة الحراثة في هذا العصر فبدلا مـن عزق الارض بأيدي النساء ، صاروا يفلحونها بالمحراث على البقرة ولما كانت الزراعة تتطلب قوة لضبط حيوانـات الجر وسياستها كانت قوة المرأة غير كافية لذلك اقتضت الحالة ان يترك الرجل الفطري شيئا فشيئا أعمال القنص والصـــيد ويتفرغ للشؤون الزراعية وعليه فقد ارتقى الرجل الى مرحلة أرقى وهي مرحلة الزراعة ٠

وعليه فقد كانت المرأة حتى هذا الوقت تقوم ببعض الاعمال الانتاجية كالنسيج والبستنة وغيرها ، وبالتالي كان لها دور كبير في الحياة الاقتصادية » (٥) ٠

يقول الدكتور نور الدين حاطوم وزملاؤه :

« ان مهمة الام كانت « أساسية لا تعلوها مهمـــة اخرى » ويستطرد قوله « على ان هذا ليس معناه سيطـرة المرأة على الرجل وانما هي وسيلة تعقب الانسان لتحـديد معالم القربى فضلا عن ان منزلة المرأة في المجتمعات البدائية كانت منزلة الخضوع القريب من الرقيق لانها من الوجهـة البيولوجية ليست مؤهلة للحرب مع الرجال فقواها تستنفذ

(٤) العصور القديمة ، برستد ، بيروت ١٩٣٠ ، ص ١٨ ٠
(٥) الجنس الاخر ، سيمون دي بفوار ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٠٢١

Twitter: @abdulllah1994

في الحمل والرضاعة وتربية الاطفال » ٠ (٦)

٤ ـ امرأة أم رجل : ـ

ان أقدم أثر لامـرأة عثر عليه العلماء حتى الآن هو بجمجمة عمرها نصف مليون سنة وجدوها مدفونة تحـت التراب الاحمر في منطقة ويلز بانجلترا وأطلقوا على صاحبتها اسم « سيدة بافيلاند الحمراء » ثم ثبت فيما بعد أنها جمجمة رجل ٠ (٧)

٥ ـ صورة أخرى من العصر الحجري : ـ

رسم عثر عليه في كهف لاسيل بفرنسا يصور لنا امرأة راقدة في كبرياء والرجل راكعا في اتجاهها ، ويرفع اليهـا يديه في رجاء ، ويناديها بعينيه وبكل خلجاته كما ينـادي الآلهة ، بينما يرتسم على فخذ المرأة سهم يشير بوضوح الى أهداف الرجل واتجاه لهفته المجنونة ٠

ب ـ المرأة في العصر النحاسي :

البربرية الراقية في العصر النحاسي : في هذا العصر اخترع نوع جديد من المحراث ربما كانت الخطوة الاولى ان تجعل زوجا من الثيران تجران في الحقل ، وقد حول المحراث عمل المزارع ، من تعهد حقل صغير الى زراعـة « وحـرث حقول » جمع بين الزراعة وتربية المواشي جمعا وثيقا ٠

أراح هذا النساء من أكثر الاعمال ارهاقا ولكنه حرمهن من احتكارهن لمحاصيل الحبوب ، ومن الوضع الاجتماعي

(٦) موجز تاريخ الحضارة، د٠ نور الدين حاطوم وزملاءه، ص٣٦، دمشق ١٩٦٥ م٠

(٧) التاريخ الجنسي للانسان، صلاح حافظ، القاهرة ١٩٧١، ص٠١٧

Twitter: @abdullah1994

الذي كن فيه بفضله ، وبينما النساء عادة يفلحن الحقـــول الصغيرة وبالفؤوس عند البرابرة فان الرجال الذين يحرثون الحقول ، وحتى في أقدم الوثائق السومرية والمصرية نجد أن الحراثين هم الذكور ٠

في هذا العصر تظـــهر الانتوغرافيا الخزافين الذين يستعملون الدولاب هم عادة من الاخصائيين الذكور وانهم لم يعودوا من النساء اللواتي يعتبر صنع الخزف بالنسبة اليهن حملا منزليا يشبه الطبخ والغزل وبخلاف المآثر التي كانت نسائية بالدرجة الاولى والتي أسلفنا وضعها فيما سبق ، فان الاكتشافات والاختراعات التي عرضنا لها حتى الآن قد حصلت على ما يبدو بفضـــل الرجال ولا شك انها دعمت مركزهم الاقتصادي ، فيرفع عدد من الواجبات الثقيلـــة والضرورية عن كاهل النساء ومنها الحراثة وحمل الاثـقال وصنع الاواني ، عملت هذه الاختراعات على تقويض الدعائم الاقتصادية لحق الامومة ٠

وباتت وأولادها ملكا لابيها أو لاخيها ، ثم ملكـــا لزوجها ، كأنما شريت في الاسواق فتورث بعد موت زوجها ، وأحيانا كانت تدفن معه بعد هلاكه وانقلبت الآلهة وكانت من قبل من نساء الى رجال ذوي لحى تحيط بهم زوجاتهم (٨) ٠

٣ ـ الانقلاب الحضاري في بلاد الرافدين « النصف الاول من الالف الثالثة قبل الميلاد » :

لو ألقينا نظرة على سدنة معبد الآلهة « بـــاو » لحددنا وظيفة المرأة فقد كانت من بين سدنتها أربعون امرأة يعملن في اعداد الصوف من قطعان الآلهة ، وكذلك غازلات وحائكات

(٨) موجز تاريخ الحضارة ، التاريخ الجنسي للانسان ص ٣٧ ٠

Twitter: @abdullah1994

وكان هناك واحد وعشرون خبازا ويساعدهم سبع وعشرون عبدة وباقي الوظائف أنيطت بالرجال وعليه فقد كانت الوظائف الهامة والرئيسية في أيديهم لا في أيدي النساء ٠

٤ ـ المرأة في مدنية عصر البرونز في مصر والهند :

تظهر الاشكال النسائية الصغيرة المصنوعة من الطين والمشاهد على الاختام وأدوات العبادة وخاصة الحجـــارة الكبيرة بشكل اعضاء التناسل وللذكر والانثى المعروفة باسم LIOUAS و YONIS تظهر هذه كلها بقايا من الطموطية ، ومن طقوس الخصب السحرية والآلهة التي صدرت عنها ٠

كان المصريون القدماء يسمون الزوجة « سيدة البيت » وكانت الفتاة تخاطب حبيبها بقولها « اتخذني سيدة بيتك » ، وكان من حقها ان تشترط عليه اداء تعويض لها إن تـزوج زوجة أخرى ٠

ضاعف أرغفة الخبز التي تعطيها أمك وأحملها كما حملتك ولا تنس حين تتزوج أيام طفولتك وعناء تربيتك ٠

ان يتخذ له بيتا وأن يحب زوجته حب الصدق والوفاء ، وان يملأ بطنها طعاما ويضفي على ظهرها الكساء وأن يفرح قلبها ما عاش ولا يدخل معها في لجاج ٠

٥ ـ المرأة في عصر الاهرام وعصر الاقطاع والامبراطورية في مصر : ـ

كانت المرأة في عصر الاهرام محترمة مكرمة تتمتـــع بجميع ما لزوجها من حقوق (٩) أما في عصر الاقطـــاع والامبراطورية فقد أطلق برستد على الملكة حتشبوت لقـب

(٩) العصور القديمة ص ٩٨ ٠

Twitter: @abdullah1994

أول امرأة عظيمة في التاريخ فقد قال عنها « وهي اول امرأة عظيمة حفظها لنا التاريخ » وكانت من أشهر الشخصيات في تاريخ مصر الفرعونية وعلى العموم فان المجتمع المصري كان ينظر الى المرأة بشكل عام نظرة أميل الى الاحترام منها الى الاحتكار (١٠) ويقول ماكس : « ليس ثمة شعب قديم او حديث قد رفع منزلة المرأة مثلما رفعها سكان وادي النيل » (١١) وان ما يلفت الانتباه مشكلة الزواج بين الاخوة ففي الزمن المصري القديم يدعو العاشق معشوقته « بأختي » كما تدعو الفتاة حبيبها بأخي ونجد أيضا ان الازواج يدعون زوجاتهم بأخواتهم كما تدعو الزوجات ازواجهن بنفس الاسم ، وقد أثار هذا الامر تساؤل الباحثين وانقسموا الى فريقين : ـ

(١) فريق يعتقد بزواج الاخوة بين المصريين ٠

(٢) فريق ينفيه ويعزو هذه الاشارات الى العادة اللفظية لا أكثر ٠

ويدعم الذين يعتقدون بوجود زواج الاخوة رأيهم بسرد مثال أوزيريس وايزيس كما يؤكدون انه في زمن بعض الاسرات حدثت حوادث زواج بين بعض الفراعنة واخواتهم، أما الذين ينفون هذا الزعم فيقولون ان زواج بعض الفراعنة وأخواتهم كان يقصد منه الحفاظ على صفاء الدم الملكي وأجساد الفراعنة لا تشوب دماءهم دماء غير مقدسة وان هذه العادة لم تتجاوز بعض الحالات الفردية التي لا يجوز أن تعمم أما استعمال العشاق لكلمة أخي وأختي فهو أمر

(١٠) موجز تاريخ الحضارة ، المرجع السابق ص ١١٠ ٠
(١١) ول ديورانت ، قصة الحضارة ، جزء ٢ ص ٩٥ ـ ٩٩ ترجمة محمد بدران ٠

Twitter: @abdullah1994

لفظي ليس له مدلول من قرابة وقد تطور وتبدل بمرور الزمن وأيا كان الصحيح فان الجدال ما يزال قائما حول هذا الامر ولم يستطع أي فريق أن يثبت صواب رأيه التام ٠

٦ ـ مركز المرأة عند البابليين : ٢٤٦٠ ـ ٢٠٨١ ق٠م :

كانت منزلة المرأة في العالم البابلي القديم سامية كما كانت في مصر ، حيث كان من حق النساء تعاطي الاعمال التجارية لحسابهن الخاص وسواها من الاعمال مستقلات تمام الاستقلال ، ويقمن في مقام الكتبة الفنيين ، وكان لا بد من الاستعداد اللازم لذلك في مدرسة ٠

وقد انخرط جماعة منهن في خدمة الدواوين والمصالح الاميرية* كما كانت تنتظم في سلك الكهان (١٢) ٠

كما كان من حقها التمتع بالملكية الخاصة وحق الشهادة الكاملة كالرجل ، وحق التصرف فيما تملك من أرض أو عقار او حيوانات او عبيد ، واذا غاب زوجها كأن يكون في الخدمة العسكرية ولم يكن له ولد في سن الرشد فتعود اليها رئاسة الاسرة وادارة شؤون البيت والاملاك ولها في مقابل ذلك ثلث ايراد زوجها ، وقد منح حمورابي للمرأة حق الطلاق اذا رأت في تصرف زوجها ما يجعلها تشك به ، أو اذا أهملها زوجها وعلى القاضي ان يتحقق من دعوى المرأة وأن ينصفها اذا ثبت له صدقها ٠

ولكن كان للزوج ان يرهنها حتى تتمكن من سداد دينه على أن لا يتجاوز هذا الرهن ثلاث سنوات ، كما

(١٢) جرجي زيدان ، العرب قبل الاسلام ، ص ٦٨ بيروت ١٩٦٨ م٠

* Cley : Light on the Testament from Babel: p. 166 London 1007.

Twitter: @abdullah1994

يستطيع بيعها اذا ثبت له خيانتها ، واذا لم تنجب أولادا يتزوج محظية لتنسل له وتكون في مرتبة أقل من الزوجة ولكنها تصبح حرة عندما تنجب ولكن ترد الى العبودية اذا أساءت التصرف ٠

أما الخيانة من جانب المرأة : فعقوبتها في كافة الاحوال أن يقذفوا بالخائنة في الماء ويتركوها تغرق ، وكانت العادة اذا ضبط معها عشيقها أن يقذفوا بعشيقها أيضا وهي عادة كانت تلزم على كل « دون جوان » في بابل القديمة بأن يتقن السباحة ٠

واذا عفى الزوج عن زوجته الزانية وعفى الملك عن الزاني فلا تنفذ فيهما العقوبة ، اما اذا كانت التهمة لا تتعدى حدود الشائعات فيكتفي ان تقسم المرأة على برائتها لتحصل على العفو ، اما اذا أسر زوجها وكان قد ترك لها ما يكفيها وأقامت علاقات مع رجل آخر فتعتبر زانية ٠

ويروي هيرودوث « انه لم يسمح لاي عروس بالزواج ما لم تذهب أولا الى أحد المعابد وتمنح جسمها لاول عابر سبيل يلقي في حجرها قطعة من الفضة » ويروي انه كانت توجد في برج بابل الشهير صومعة مقدسة تحتوي على سرير فاخر موشى بالزخارف ، ومائدة من الذهب الخالص ، وكان الكاهن الاكبر يختار لهذه الصومعة امرأة جديدة كل ليلة تبيت في أحضان الاله أو بين احضانه نيابة عن الآلهة (١٣)، وقد أشارت الى ذلك دي بوفوا اشارة عابرة دون تعليق « ان المرأة في بابل كانت مضطرة ان تستسلم مرة في حياتها في المعبد (١٤) ٠

(١٣) التاريخ الجنسي للانسان ص ٣٣ ـ ٣٤ ٠
(١٤) الجنس الاخر ص ٤٦ ٠

Twitter: @abdullah1994

وتدلنا قوانين آشور ان الحجاب كان من عادة السيدات ذات المكانة والنساء المتزوجات منذ آلاف الاول بل قبله ، وكان دوره محرما على الاماء والعاهرات وتحل المصيبة بمن ترتديه من النساء من هذا النوع ٠

وكانت آشور تشجع الاكثار من النسل شأنها في هذا شأن جميع الدول العسكرية ، فكان الاجهاض جريمة يعاقب عليها بالاعدام ، وكانت منزلة النساء في آشور أقل منها في بابل وان كان منهن من بلغ مكانة سامية (١٤) ٠

وهكذا نرى أن وضع المرأة في بلاد الرافدين كان يدعو الى الرضى والارتياح نسبيا ، ويعتبر تقدم كبير ، اذا قيس بوضع زميلتها في الصحارى المجاورة ، لم يكن للمرأة حق الوراثة الا اذا لم يكن هناك أخوة ذكور لها ، ولكن كان لها حق معين في الانتفاع بالملك ، وان كان هذا موقوتا بحياتها فضلا عن حق الدولة عند زواجها (١٥) ٠

عشتار وجلجاميش : ـ

عشتار طلبت يد جلجاميش بنفسها وهذا يدل على مدى الحرية التي بلغتها المرأة عند البابليين ٠

مدارس للبنـات : ـ

كشفت الآثار عن مدارس لتعليم البنات في بابل الى ما يوازي التعليم الجامعي اليوم ودلت الروايات التاريخية على مكانة ملحوظة لبعض النساء في حواشي الملوك ٠

(١٤) ول ديرانت ، قصة الحضارة ج ٢ ص ٢٨١ ت : محمد بدران٠

(١٥) الحضارات السامية القديمة ، موسكاتي ، ت : السيد يعقوب بكر ، القاهرة ، ص ٩٨ ٠

Twitter: @abdullah1994

٧ ـ المرأة الحثية : ـ

عند الحثيين كان باستطاعة من يتزوج ابنة الملك أن يعتلي سدة العرش ، اذا لم يكن للملك ولد من الزوجة الاولى أو الثانية ، وهذا ينطبق على العائلة المالكة والاشراف كما انهم سمحوا للعبيد بشراء امرأة حرة وقد علق مورتيكات بقوله « انها لثورة اجتماعية جارية في طريق التطور » (١٦)٠

ومن التعابير التي كان يدل بها على علاقات الزوجية أيسر كما ان وضع الزوج كان متفوقا بالنسبة للمرأة ، ويلزم الزواج من المرأة الامانة الزوجية ٠

فاذا أمسك رجل بامرأة في الجبل او في الريف اعتبر هذا العمل منه جرما وأعدم ولا جناح عليها اذا لم يكن باستطاعتها الاستغاثة واذا تم هذا في البيت أعدمت هي واذا أمسك بها زوجها وقتلها فلا جناح عليه ، واذا طلب بعدم اعدامها وعفى عنها وعن شريكها لا مانع في ذلك ولكن يوشم على رأسه (١٧) ٠

وراثة المركز : ـ

كان يحق للمرأة في الحضارات القديمة وراثة العرش، وقد تكرر ذلك ، في حضارة مصر القديمة ، وقد تكرر تصوير الملكة بلحية لرجل ، وكأنهم يعتبرون الملك حق من حقوق الرجال ٠

وجملة القول : ان المرأة كانت ذات مركز حساس في مطلع التاريخ البشري ثم هبطت مكانتها ثم ما لبثت ان

.....

(١٦) تاريخ الشرق الادنى القديم ، دمشق ١٩٦٧ م ، ص ٢٢١ ٠

(١٧) موجز تاريخ الحضارة ، ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩ ٠

Twitter: @abdullah1994

أخذت تستعيدها في مطلع فترة توسع الحضارة وبلغت شأوا هاما في هذا السبيل في بابل ومصر ٠

٨ ـ نقـــاش : ـ

ان الجسر الذي عبر عليه الانسان من البدائيـــة الى الحضارات الاولى ، وكانت تحكمه المرأة وكانت صلاتهـــا الجنسية على هذا الجسر مشاعية ونسلها ينسب اليها والى عشيرتها أي ان الرجل كان مجرد اداة للتلقيح لا شأن لـه بالنتائج ولا سلطان له في الانتاج ، ولا سلطان له على شيء اصلا في المجتمع ٠

في منتصف القرن الماضي ظهـــرت هذه النظرة في سويسرا أيدها العلماء المحافظون لان صاحبها « جـــون باشوفن » كان من أقطابهم ، ثم أيدها الثوريون ، لان المفكر العظيـم الاشتراكي فردريـك انجلز ، حولها الى سـلاح في معركة تحرير المرأة وعبر عن ذلك قوله « الانكسار التاريخي الكبير للجنس النسائي » ان العمل المنزلي الذي كان يضـمن للمرأة استقلالها في السابق صار ضمن سيطرة الرجل ، لان العمل المنزلي لم تعد له سوى قيمة ثانوية جدا أمام عمـــل الرجل المنتج ، حينئذ حل الحـــق الابوي محل حق الام ، وظهرت الاسرة القائمة على الملكية الفردية ، في مثل هذه العائلة أصبحت المرأة مضطهدة ، أما الرجل المتربع عـلى عرش السيادة فأباح لنفسه التقلب مع الهوى والتســـري بالاماء ، وحينما تتيح الاعراف تنتقم المرأة بالخيانة ، هذه القادمة الوحيدة قصر عبوديتها المنزلية وما الاضطهـــاد الاجتماعي الذي يحيق بها الا نتيجة استعبادها الاقتصادي ٠

ولا يمكن للمرأة ان تتحرر الا حينما تستطيع الاسهام الى حد بعيد في الانتـــاج ولا يستوعبها العمل المنزلي الا بصورة طفيفة ، وهذا لم يصبح ممكنا الا ضمن مجتمعـــات

Twitter: @abdullah1994

الصناعة الكبرى الحديثة التي لا تفسح المجال لعمل المرأة فحسب بل تتطلبه بصورة ملحة ٠

ان مقاومة وتحفظات النظرية الابوية الرأسمالية هي التي تحول دون تحقيق المساواة في كثير من البلاد وحين يحل المجتمع الاشتراكي في العالم لن يكون هناك رجال ونساء بل عمال متساوون فيما بينهم ٠

قالت سيمون دي بوافوار : لا شك ان تحليل انجلز يشكل خطوة الى الامام الا انه يهمل كثير من النقاط الهامة:ـ

١ ـ ان محور التاريخ كله هو الانتقال من نظام المشاع القديم الى الملكية الفردية ، دون أن يقال لنا كيف حدث هذا الانتقال ٠

٢ ـ ليس واضحا ان الملكية الفردية أدت الى عبودية المرأة ٠

٣ ـ المادية التاريخية تغير الاشياء التي ينبغي تفسيرها أمورا مفروغا منها فهي تضع دون شك صلة المصلحة التي تربط الانسان بالملكية ، ولكن ما هو منشأ هذه المصلحة التي منها تتبع المؤسسات الاجتماعية ؟ هكذا تبدو دعوى انجلز ناقصة ، وتبدو الحقائق التي يكتشفها محتملة لانه لا يمكن التعمق فيها دون تجاوز المادية التاريخية التي لا يمكنها تقديم الحلول للمسائل التي عناها لانها مسائل تهم الانسان كله ، وليس مفهوم « انسان الاقتصاد » التجريدي (١٨) ٠

لكن لا الثوريون ولا المحافظون قدموا ـ حتى اليوم ـ دليلا علميا قاطعا على صحة ما يقولون ، وهناك حقيقة لا

(١٨) الجنس الاخر ص ٢٢ ٠

Twitter: @abdulllah1994

يمكن تجاهلها « ان الانتساب الى الام ليس معناه بالضرورة سيادتها » ٠

يقول الاستاذ المعاصر « بروتلاف مالنوفسكي » :

« باعتباري من الذين يسمونهم « نخبة العالمين » في هذا الموضوع ، أستطيع ان أقرر انني في كل مرة تناقشت فيها مع بقية النخبة خرجت بنتيجة واحدة : هي أن محدثي لا يفهم شيئا على الاطلاق ، ويقيني ان كلا منهم خرج في كل مرة بنفس الاحساس اتجاهي » ٠

اذن فلا جدوى من مواصلة التسكع حول هذه الفجوة الغامضة من التاريخ ٠

٩ ـ المرأة اليونانية : ـ

في فجر التاريخ اليوناني ، كانت المرأة اكثر استقلالية، وربما كانت هذه الاستقلالية على درجة احسن كثيرا من ايام هوميروس (١٩) ٠

انه قبل ان تبزغ شمس الفكر عند اليونان كانت المرأة عندهم ، كما كانت عند غيرهم ، مخلوقا تحيط به هالة من الغموض والسحر ، ومحورا تدور حوله معظم الاساطير ، فالحروب تنشب بسببها ، والابطال يخوضون الاهوال في سبيل هواها او انتقاما من غدرها ، ولكن الفكرة تتغير فجأة في اليونان ٠

فالنساء لم يعد لهن أي مجال في الحياة العامة (٢٠) ، يقول جوستاف لوبون : « كان الاغارقة على العموم يعدون

.....

(١٩) « A.J. Grant, Out lines of Euro » Hist., p. 9.

(٢٠) جود دون تشايلد ، ماذا حدث في التاريخ ص ٢١١ ٠

Twitter: @abdullah1994

النساء من المخلوقات المنحطة التي لا تنفع لغير دوام النسل، وتدبير المنزل ، فاذا وضعت وليدا رحيما قضوا عليه ، ومن ذلك قول ربلونغ كانت المرأة السيئة الحظ التي لا تضع في اسبارطة ولدا قويا صالحا للجندية تقتل ، وقال « كانت المرأة الولود تؤخذ من زوجها بطريق العادية لتلد للوطن أولادا من رجل آخر » (٢١) ٠

ان اليونانيين على وفرة نصيبهم من الفلسفة والفن لم يرتفعوا بالمرأة الى منزلة أعلى من منزلة الخادمة او مدبرة البيت على أحسن الحالات ، وكانوا يسكنون المزوجات في حجرات تقل فيها النوافذ ويندر الخروج منها الى الاسواق والمحافل ٠

كان الرجال يؤثرون مصاحبة الغانيات الاجنبيات اللاتي عرفن باسم الهيتو على مصاحبة زوجاتهم الشرعيات، ولكنهم كانوا يجلون المرأة الكاهنة كما يجلون المرأة الساحرة، ولعله اجلال الرهبة من عالم ما وراء الطبيعة وليس باجلال المرأة ذاتها وهي تزاول السحر او الكهانة ، وعلى الرغم من مذهب افلاطون في واجبات المرأة العسكرية والسياسية ظلت النساء اليونانيات معزولات عن الحياة العامة بحكم العرف وحكم الشريعة (٢٢) ٠

لقد جردت المرأة اليونانية من كافة حقوقها المدنية ، ووضعت تحت سيطرة الرجل المطلقة ، في مختلف مراحل حياتها ، بل كانت تعتبر من ممتلكات ولي أمرها قبل الزواج ومن ممتلكات زوجها بعد الزواج ولا تميزها في الحالة

(٢١) جوستاف لوبون ، حضارة العرب ص ٤٠٦ ٠

(٢٢) عباس محمود العقاد، المرأة ذلك اللغز ص ١٠، بيروت ١٩٧٠م٠

Twitter: @abdulllah1994

الاخيرة الا بمميزات تافهة عن سريات الرجل وجواريه(٢٣)، وان مات زوجها تقع تحت سيطرة اكبر ابنائها (٢٤) ، لقد كانت المرأة في أثينا بلد الديمقراطية ، تعتبر من سقط المتاع، تباع وتشترى ، وكانت تعد رجسا من الشيطان (٢٥) .

وفي اسبارطة ، لم يكن الاسبارطيون ينظرون في عرى الفتيات شيء يدعو الى الخجل كما يقول بلوتارك وكانوا يسمحون لشبابهم بمقدار كبير من الحرية الجنسية قبل الزواج ، ان المرأة في هذه الدولة المدينة العسكرية سوى آلة تصنع الرجال المحاربين ليس الا ٠

وصفوة القول ان اثينا كانت متأخرة عن سواها من المدن الاغريقية في معاملة النساء ، فقد كان مركز المرأة الاثينية أقل شأنا من مركز المرأة في اسبارطة ، وبالرغم من ذلك كانت المرأة تحاط بمظاهر الاحترام ان كانت منجبة ولودا (٢٦) ٠

وأخيرا ان المرأة اليونانية هي المرأة الاوروبية الوحيدة التي عرفت الحجاب في التاريخ الاوروبي ، ويقول سلامه موسى : ان هذا الحجاب الاغريقي لم يغلق الابواب اغلاقا محكما ، كما كان عند باقي العصور الوسطى (٢٧) ٠

أ ـ **الشاعر هسيودس** : على الرغم من انه سرد في

(٢٣) الحرية في الاسلام ، علي عبد الواحد وافي ص ١٧ ٠

(٢٤) قاسم امين ، تحرير المرأة ص ٣٣ ، القاهرة : ١٩٧٠ م٠

(٢٥) الاسلام ، احمد شلبي ، ص ٢٠٢ ٠

(٢٦) حاطوم وزملاؤه ٤٤٥ ، الاسلام ، احمد شلبي ٢٠٢ ٠

(٢٧) هؤلاء علموني اقرأ ٢٤٩ / ١٩٧٢ م ص ٦٢ ٠

Twitter: @abdullah1994

كتابه « أنساب الآلهة » لقائمة طويلة من النساء العظيمات وجعل أكثر الآلهة من الاناث ، الا أنه في كتابه « الاعمال والايام » يروي كيف ان زفس طلب من الآلهة الاشتراك في خلق امرأة يهديها للرجل ، وبعد ان نفذت الآلهة طلبه ، واشتركت في صنع امرأة في غاية الجمال ، امر هرمس بأن يعطيها عقلا يشبه عقل الكلاب ، ويركب فيها الطباع الشرسة والصفات الخداعة ، ثم أطلق عليها اسم « باندورا » والتي هي في نظره سببا لجميع مصائب البشر ويعلق الشاعر الفيلسوف بقوله : « ان جنس النساء اللطيف ، قد جاء من باندورا ، هذا الجنس الذي هو شر مستطير تلبس الرجال ، فالمرأة ليست رفيقة حياة تشارك زوجها الفقر والالم وانما هي تطالب بالطعام والشراب والثياب ولا يقف فهمها عند حد، وهكذا خلق زفس المرأة مصدر شر وفساد » ٠

ب ـ الجزر اليونانية : ـ كانت المومسات تستسلمن للغرباء ، أما الاموال المحصلة فكانت تخصص للعبادة أي للكهان ، وبصورة غير مباشرة لتأمين مصاريفهم ، وقد جعل صولون من البغاء مؤسسة رسمية فكانت الجواري الاجنبيات يقبضن أجورهن المحددة ، أما الارباح الفائضة فكانت تعود الى الدولة ، ثم انضمت اليهن اليونانيات الفقيرات ٠

جـ ـ الامازونات : ـ شعب من النساء المقاتلات يتردد ذكرهن كثيرا في اساطير اليونان ومع انه هزم في النهاية أمام اليونان على حد رواية ـ هيرودون ـ واضطرن فلوله أن تهرب الى القرم ، الا أنه ظل يتمتع في الادب اليوناني باحترام كبير واعتبر بعض اليونانيين انفسهم من نسله ، ونسبت بعض المدن فضل انشائها اليه ٠

والذي يلفت النظر في تاريخ هذا الشعب النسائي المقاتل ان اليونانيين حرصوا قبل تبجيله على تجريده أولا من

Twitter: @abdullah1994

الانوثة فاليونان أهل منطق والمنطق ربما يسمح بأن تتفوق المرأة في ركوب الخيل ، ولكن كيف تحمل فوق ثدييها جعبة سهام ؟ اذن لا بد أن تكون الامازونات بلا صدور وهذه الصورة التي رسمها لهن اليونانيون والتي استمد منها اسمهن ... اذن كلمة أمازون معناها فاقدة الصدر .

كان لا يسمح لهن بمضاجعة الرجال الا بعد العودة من الحرب ، وبمجرد الولادة تخرج لممارسة عملها في الدولة ، كانت المرأة اليونانية تحاكم بتهمة القتل اذا أجهضت نفسها دون اذن من زوجها .

الى هذا الحد فقدت المرأة سلطانها عند الاغريق في عصر الفلسفة .

د ـ فيتا غورس : ـ هناك مبدأ خير انبثق من النظام والنور والرجل ، ومبدأ شر خلق الفوضى والظلمة والمرأة .

هـ ـ يوريبيدس الشاعر : ـ هاجم النساء كثيرا في مطلع حياته الفنية ولكنه تحول الى صفها بوضوح .

و ـ أرستوفانيس : ـ في مسرحية « ليسترانا » جعل النساء يفرضن على أزواجهن السلام بوسيلة غاية في البساطة هي اغلاق حجرات النوم في وجوههم والاضراب عن استقبالهم في الفراش .

ز ـ الطبيب ابو قراط : ـ وقف الى صف انصاف النساء ، وهو الذي أنقذ اثينا ذات يوم من احد أوبئة الطاعون .

ع ـ هيوناكس : ـ لا تسعدك المرأة في الحياة الا يومين : يوم الزفاف ، ويوم دفنها .

ل ـ سقراط : ـ نادى بالمساواة بين الرجل والمرأة فيما يتعلق بالسلطة على الاطفال .

Twitter: @abdullah1994

ي ـ تلميذة افلاطون : ـ نادت بالمساواة بين المرأة والرجل في كافة شؤون الزواج بلا استثناء ، ولكن سرعان ما عاد أفلاطون يسحب كلامه ، ويتراجع عن كثير مما دافع عنه ، فبعد أن كان اعزب لا مصلحة له في الامر ، ويطالب بمعاقبة الرجل والمرأة على الخيانة الزوجية عاد في « المدنية الفاضلة » يعكس بحرية الحب للجميع ٠

م ـ أرسطو : ـ جاء لينسف كل مبرر لتقدير المرأة والاكتراث بها أو حتى المناقشة في شأنها ، وقد تشاء أن يجعل بين المرأة والرجل فرقا في الدرجة لا في النوع ، فكلاهما يملك طاقة وحرارة ، ولكن المرأة تملك أقل ٠

انه يعتبر ان المرأة مرأة لنقص فيها وعليها أن تلزم بيتها كتابعة لزوجها ، وهكذا انتهت حركة تحرير المرأة ومساواتها بالرجل الى فشل كامل ، وبقيت القوانين في اليونان القديمة على حالها ، وظلت المرأة مستبعدة من الحياة العامة ٠

ك ـ بائعات الهوى : ـ كيف شقت غانيات اليونان طريقهن الى المجد ؟ ان المرأة التي تستطيع أن تسحر رجلا مثل بركليس أو ابيقورس لا بد أن يكون ذكاؤها فوق المعتاد، والموضة بين الغانيات الطموحات في ذلك الوقت هي الانتساب الى مدارس الفلسفة والانتظام في دراسة البرامج التي فيها ٠

ان « ليونشون » التي كانت عشيقة الفيلسوف ابيقورس كان لها فيما يقال كتاب في الفلسفة اكثر ثراء وذكاء من كثير من مؤلفات أستاذها العاشق ! على أن اللواتي يجمعن ما بين الجمال والفطنة لا يمثلن في أي مجتمع الا الصفوة النادرة ٠

ن ـ سافو : ـ امرأة كانت تقول القصيدة الغنائية ، التي يتحدث عنها أنها كانت تدير مدرسة خيرية في جزيرة

Twitter: @abdullah1994

ايزيوس ، ولم يكن أهل هذه الجزيرة يختلفون عن أهل اثينا من حيث تقديرهم للجمال المجرد ، بصرف النظر عن جنس صاحبه ، وعلى ذلك ، وقعت سافو في غرام تلميذاتها ، ولكن لم يستجب لهذه العاطفة الشاذة ، وكذلك لم تستجب صديقة لسافو اسمها « مارون » وانتهى الامر بأن قذفت سافو بنفسها في البحر وانتحرت غرقا ٠

الغريب ان هذه القصة الواحدة في تاريخ اليونان هي مصدر اللقب الشائع للنساء الشواذ حتى اليوم في العالم الغربي كله فالمرأة الشاذة ما تزال تسمى في كافة اللغات اللاتينية « امرأة ليزبونية » ٠

وسافو : ـ كان يعاشرها الشاعر الكيوس وقد انشد ابن أخ الحكيم صولون في سهرة أبيات شعر لها فأعجب صولون كل الاعجاب فطلب منه ان يردد الابيات ثانية ، فلما سئل لماذا تحفظ مثل هذا الشعر قال « أريد أن أتعلمه وأموت» وكان سقراط يذكر سافو دوما وينعتها بالرائعة بينما نظم افلاطون بيتين في تمجيدها ها هو معناها « يقولون ان هناك تسع آلهات للفن فأي اهال هذان حقا ان « سافو » من « لسيوس » هي الآلهة العاشرة ، وكان الناس حينما يسمعون كلمة الشاعرة يعرفون بأن المقصودة سافو ٠

١٠ ـ المرأة الرومانية : ـ

جردوا المرأة من معظم حقوقها المدنية في مختلف مراحل حياتها ، فقبل زواجها تكون تحت سيطرة رئيس الاسرة ، وقد يكون أباها أو جدها لابيها ٠

أ ـ تجريد كامل : ـ تعطيه هذه السيطرة كافة الحقوق عليها حتى حق الحياة والموت وحق اخراجها من الاسرة وبيعها بيع الرقيق ، والنساء عندهم مصابات بالعته الطبيعي،

Twitter: @abdulllah1994

فهن في كفالة الرجل على تفاوت السن والمكانة (٢٦) واعتبر الرومان المولود من أمه يتبع حالة أمه من حيث الرق (٢٧) ٠

ب ـ الى عبودية اخرى : ـ بعد الزواج واعتراف الزوج بزوجته تصبح بمثابة بنت من بناته فتقطع علاقاتها انقطاعا تاما ويحل زوجها محل ابيها او جدها في الحقوق المذكورة وتصبح عضوا في أسرته ٠

جـ ـ سيدة رومانية : ـ والحقيقة انها باعتبارها سيدة رومانية MATVOUA كانت تعامل على انها شريكة في جناح الحريم من المنزل مثل نساء أثينا في القرن الخامس ، ولكنها كانت تتجول في المدينة تحضر الاحتفالات العامة وتجلس الى مائدة الغذاء باعتبارها الضيفة (٢٨) ٠

د ـ زواج من نوع آخر : ـ لم تكن تطبق هنا فكرة سيطرة الزوج على زوجته وجميع ممتلكاتها ، وقد رأى البعض في هذا الشكل بقاء للمجتمع الذي تسيطر فيه الزوجة أو ارجعوه الى تأثير اترسكي ، ومن المحتمل الى حد بعيد انه قد استمد من المعاني التي تنطوي عليها وجهة النظر الرومانية في الزواج Matrimonium وكانت وجهة النظر هذه ترى ان الزواج اتحاد لمدى الحياة بين رجل واحد وامرأة واحدة عقد بينهما طواعية واختيارا من أجل انجاب الاطفال ، ويقوم على

(٢٦) المرأة ذلك اللغز ـ عباس محمود العقاد ص١٠، بيروت ١٩٧٠م

(٢٧) الناصر بن محمد قلاوون، د٠ محمد عبد العزيز مرزوق ص ٦٩

(٢٨) حضارة روما ، رونالد ددلي ،.دار نهضة مصر للطباعة والنشر ١٩٦٤ م ص ٢٤ ٠

Twitter: @abdullah1994

أساس المحبة المتبادلة (*) ٠

هـ ـ نقش على قبر زوجة وأم رومانية حوالي القرن الثاني ق٠م : ـ « أيها الغريب ، انني أقول لك قولا موجزا ، قف واقرأ ، هذا قبر غير جميل لامرأة جميلة أطلق عليها أبواها اسم « كلوديا » ، وقد أحبت بعلها من صميم قلبها ، وأنجبت ابنين تركت أحدهما حيا على الارض ودفنت الآخر تحت الثرى ، وكان حديثها مرحا ومظهرها لائقا ، كانت تدبر شؤون المنزل وتغزل الصوف ، لقد قلت قولي فاذهب لحالك »٠

هناك أدلة كافية تثبت ان فكرة الزواج الذي تم بين كلوديا وزوجها ، ظلت قائمة حتى أواخر عصر الامبراطورية٠

و ـ نساء عالمات : ـ حالة تطلق على نساء من الاقاليم أرامل في العاصمة ومنهن من لا ولد لها يشرف على ثروتها، فبلغن من المكانة العلمية منزلة يحسب لها حساب ، وكثر بينهن المتعلمات اللائي يفتحن أنديتهن للأدباء والعلماء ولكنهن كن في ذلك العهد عرضة للنكتة والفكاهة ٠

ز ـ الشاعر جوفنال : ـ شاعر هجاء صور النساء العالمات في أهجيته السادسة أسوأ تصوير وقال « ان اللغط الذي يلغطنه بالمفاضلة بين فرجيل وهوراس ضجر للسامعين، وصداع للرؤوس ، ويبدو ان النساء قد استشرى ، حيث ورد في شعره ان امرأة واحدة بدلت ثمانية أزواج في خمس سنوات ٠

* لقد تحدث عن الزواج عند الرومانيين بصورة مختصرة، ولكنها جيدة ، زهدي يكن ، الزواج ومقارنته بقوانين العالم ص ٢٦ ـ ٣٠ ، وذكر ان الزواج الروماني عقد مدني خال من كل صفة دينية ٠

Twitter: @abdullah1994

ع ـ **الشاعر المعتدل ادفيد** : ـ وصف نموذج المرأة التي تستحق الحب ، فقال انها هي المرأة التي تهيأ لها من الثقافة ان تتعلم قليلا من الكتابة وقليلا من الغناء وقليلا من العزف على العود ، وقال : ان متعة الحب ليست في المباح من السلع التي تشترى بالمال وانما المتعة حقا في غزو المرأة التي دونها حصون وقلاع وقمة المتعة ان تكون هذه المرأة متزوجة وان يكون زوجها مبالغا في حراستها ٠

ل ـ **نساء رياضيات:** ـ كان للرومان مصارعات يحترفن الالعاب الرياضية ، ولكنهن لا يحسبن من نساء المجتمع المحترمات ، ولم تكن قلة احترامهن راجعة الى أخلاقهن فقد كانت البيوت انفسهن على حال من الاخلاق لا تفضل حال النساء اللاعبات او اللاهيات ، وقد كان الحكيم سنيكا يقول: ان المرأة في زماننا تحسب عمرها بعدد أزواجها لا بعدد سنيها ولكن الرومان على ما يظهر كانوا يستغربون كل شاغل للمرأة غير شاغل للاناث المقبولات عند الرجال والعاكفات على التجمل وطلب الرضى والسرور ٠

ي ـ **ابيوس كلوديوس في الفخ** : ابيوس كلوديوس شخص كان على رأس ممن تصدروا الحملة لاصدار قانون في القرن الخامس قبل الميلاد يحرم زواج النبلاء من العامة ولكن القانون ما كان يصدر حتى وقع سموه شخصيا في غرام فتاة من العامة اسمها « فيرجينا » ولانه لا يستطيع أن يخالف القانون الذي نادى به ، فانه لم يستطع أن يعرض على فيرجينا الا أن تعاشره كعشيقة ، ولكن البنت كانت مخطوبة الى عضو من مجلس الشيوخ ٠٠٠ لم تقبل ان تفسخ هذه الخطوبة من أجل رجل لن يتزوجها ، ولم يكن في استطاعتها أن تحمي نفسها من نبيل عظيم مثل كلوديوس ، وعندما عرف والد الفتاة الحكاية وأدرك المأزق الذي يقف فيه هو وابنته٠٠

Twitter: @abdullah1994

تطوع بتقديم الحل الذي ينهي الاشكال من أساسه فقتل الفتاة (٢٩) ٠

وأثار الحادث ضجة كبرى ونتيجة له قامت ثورة في الجيش فرضت الغاء القانون الذي يحرم الزواج ما بين النبلاء والعامة ٠

م ـ مهنة كانت للنساء حتى القرن الاول ق٠م : نستدل على ذلك من نشيد لانتباتر السالونيكي انشده بفرح وابتهاج في القرن الاول قبل الميلاد ومعناه « يا بنات المطاحن لا تلمسن المطاحن بعد اليوم ، لان الآلهة ديميتر ، قد أمرت جنيات الغابات والبحار بأن يقمن بعملكن اذ هن يصعدن الى قمة أحد الدواليب ويجعلن محوره يدور (٣٠) ٠

ك ـ المشرع الروماني : ـ المرأة العاشقة يمكن أن تكتفي في البداية بساعات مختلسة تقضيها مع عشيقها، ولكنها سرعان ما تمل حياة الاختلاس ويصبح مطلبها أن تمتلك الرجل الذي تحبه وتتخلص من الرجل الذي تكرهه ٠

وهكذا جاء وقت على روما أصبح الطلاق فيه مطلبا صريحا لآلاف النساء وموضة محببة لديهن ، وهنا أثبت الشرع الروماني مرة اخرى مرونته النادرة وسمح للمرأة بتطليق زوجها اذا قدمت للمحكمة أسبابا مقنعة ، ورد القضاة على مرونة المشرعين بمرونة أكثر فاعتبروا كافة الاسباب التي تقدم اليهم مقنعة ثم رد المشرعون بدورهم للزوجة بالطلاق بمجرد استدعاء الزوج للخدمة العسكرية ، ثم أعفوا

(٢٩) صلاح حافظ ـ المرجع السابق ص ٧٣ ـ ٧٤ ٠

(٣٠) ماذا حدث في التاريخ ـ جوددون تشايلد ص ٢٦٠ ٠

Twitter: @abdullah1994

انفسهم من وجع الدماغ وجعلوا الطلاق ممكنا اذا طلب أحد الطرفين بلا أسباب ٠

ن ـ صديق الاسرة صمام الامان : ـ الامثلة كثيرة في تاريخ الرومان ، فقد تنازل «كاتو» مثلا عن زوجته «مارشيا» عندما ثبت له ان صديقه (هورتنيوس) يريد أن ينجب طفلا منها ٠

ـ وعندما شعر كلاديوس بالملل من زوجته «ليفيا» لم يتردد في أن يتنازل عنها لصديقه «اوكتافيوس» الذي أجلسها معه على العرش وجعلها اول امبراطورة لروما دون ان يجد الرومان في هذا أدنى غضاضة ٠

كان القانون يشترط لاتمامها موافقة الزوجة ! اي انها كانت حلا وديا بين الاطراف الاربعة زوج وزوجة وصديق وقانون ٠

ق ـ أسطورة وصانعة سلام : ـ الاسطورة يغتصب فيها الرومان نساء الغير ، هي أسطورة الملك روموتدس الذي دعا جيرانه الى وليمة في أحد الاعياد المقدسة ، ثم غدر بهم اثناء الوليمة وجعل جنوده يطردونهم ويسبون نساءهم ونرى في الاسطورة ان الحرب التي نشبت بسبب هذه الحادثة كانت كلها وبالا على الرومان ، جزاء غدرهم واهانتهم للعيد المقدس وارتكابهم جريمة الاغتصاب الوضيعة، ولا يفقد الرومان في النهاية الا النساء انفسهن حيث وقفن بين الجيشين المتحاربين ويقنعن الرجال بعقد صلح وادماج بلديهما في دولة واحدة ٠

ش ـ على عكس اليونان في النظرة الى الداعرات : ـ لم تحاول روما ان تغلف الدعارة كما نقلت اثينا ، بهالات من القدسية والمعاني الشاعرية ، فهي لم تضع داعراتها في

Twitter: @abdullah1994

المعابد ، ولم تنسبهن الى اله او آلهة ، ولم تطلق عليهن لقب « الهتياريا » اليوناني وهو لقب معناه الانثى الصديقة ، وانما نظرت اليهن نظرة علمية خاصة ، وأطلقت عليهن بوضوح لقب « الميرتيكس » اي المتكسبات ٠

وكان الاسم الذي يطلق على بيت الداعرة هو «لوناناد» وترجمته الحرفية بيت الذئبة ٠

س ـ قصائد في عالـم الغانيات ، قال بروتيوس : ـ

لكم أعشقها تلك الانثى المنطلقة من كل قيد والتي تسـير وثوبها يكشف عن نصف ظهرهـا والتي لا تجرحها نظرات التطفل والاشتهاء ٠

والتي تزرع ، طريق سكرا بحذائهـا المعفر بالتراب ، والتي لا تجزع منك عندما تناديها ، انها لـن ترفضك أبـدا ، ولن تجردك ايضا من ثروتك ، وأخيرا كانت المـرأة عنـد اليونان والرومان تحت سلطة ابيها ثم زوجها ثم من بعـده أكبر اولادها (٣١) ٠

١١ ـ المرأة عند البرابرة : ـ

كانت المرأة عندهم دائما تحت الوصاية الا انها كانت تشترك مع الرجال اشتراكا وثيقا في حياة الاسرة بيد ان الفرنجة كانوا في عهد الاسرتين الميروفنجية ! الكارولنجية يتزوجون بعدة نساء ، ولم يكن ثمة حاجة الى الحصـول على موافقة المرأة لتزويجها اذا كان الزوج يهجرها وفق هواه ، وكان له عليها حق الحياة والموت وكان يعاملها معاملة الخادمة

كانت المرأة محمية من القانون ولكن على اعتبـار انها

(٣١) الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث ص ٢٥٧ ، ط رقم (٢) ، بيروت ١٩٦٠ م٠

Twitter: @abdullah1994

ملك الرجل لا أم اطفاله ، أما كشخص فلم يكن لها أي حق ، واما كأم فكانت تساوي أكثر من الرجل ، والمرأة الولود مثلا تساوي ثلاثة رجال والمرأة العاقر ليس لها أية قيمة ٠

١٢ ـ المرأة في شرق وجنوب شرق آسيا : ـ

أ ـ الصين : ـ كان للمرأة الصينية نصيب من وقار الامومة لاشتهار الصين قديما بتوفير الاسرة وحياة البيت على العموم ٠

وقد ألفت السيدة تزاو في بداية الفترة الميلادية ، كتابا مشهورا جدا عنوانه «قواعد للنساء» يقول عنه احد المؤرخين «ان كتاب قواعد للنساء» هو كتاب مثالي لن يجد آباء الكنيسة او صولون الحكيم ، او شكسبير اي خلاف بين ما جاء فيه من آراء وبين ادائهم في سلوكية المرأة ، اما فتيات اليوم المتحررات فلن يتفقن معه في وجه من الاوجه وسيكون نصيبه منهن الاهمال والحرق (٣٢) ٠

ب ـ الهنود البرهميين : ـ كان على المرأة ان تظل طوال حياتها تحت سيطرة الرجل منفذة لاوامره ، ليس لها أي حق في تصرف قانوني ، ولا أن تجري أي أمر وفق مشيئتها والى هذه الاحكام تشير المادتان ١٤٧، ١٤٨ من قوانين مانو اذ تقرران « انه لا يحق للمرأة في مراحل حياتها ، اي سواء في طفولتها ام في شبابها وفي شيخوختها ، أن تجري اي أمر وفق مشيئتها ورغبتها الخاصة حتى ولو كان ذلك من الامور الداخلية لمنزلها (٣٣) ٠

ج ـ من شرائع منوه هرماساشرا : ـ ليس لها أي حق

(٣٢) د٠ حاطوم وزملاءه ، موجز تاريخ الحضارة ص ٣٦٠ ٠

(٣٣) الحرية في الاسلام د٠ علي عبد الواحد وافي ص ١٦ ٠

Twitter: @abdullah1994

أن تستقل أبدا ، ولا تتزوج بعد وفاة زوجها ، بل تهجـــر كل ما تشتهيه من الاكل واللبس والزينة حتى الموت ، ولا تملك الزوجة شيئا ، وكل ما تحوزه يذهب توا لزوجها (٣٤) ٠

د ــ المراة في البوذية : ــ يقول العلامة رادهاكرشنن :ــ ان المرأة الهندية في عصر بوذا لم تكن منعـزلة ولكن على الرغم من ذلك فاننا نجد بوذا يتردد كثيرا في قبولها لتكون من اتباع دينه (٣٥) ٠

وهذا حديث له مع ابن عمه آنندا :

آنندا : كيف نعامل النساء ايها السيد ؟

بوذا : لا ننظر اليهن ٠

آنندا : ولكن اذا اضطررنا للنظر اليهن ؟

بوذا : لا تخاطبهـن ٠

آنندا : ولكن اذا خاطبننا ؟

بوذا : اذن كن على حذر منهن ٠

لقد كان آنندا من أنصار المرأة ، وهو الذي جعل بوذا يضمها الى أتباعه وجماعته ، بعد الحاح شديد على الرغم من انه كان يرى ذلك خطرا على المجتمع البوذي ، فقد قال لآنندا مرة « لو لم نضم المرأة لدام الدين الخالص طويلا ، اما الآن بعد دخول المرأة بيننا فلا أراه يدوم طويلا » (٣٦) ٠

وقد أثر على بوذا قوله « للنظام بعد موتي ان يغـير سنة ، ما يراه مضرا كمقاصد حياته » ٠

ويرى العلامة رادهاكرشنن « ان بوذا عني بهـــذه

(٣٤) أديان الهند الكبرى ، د٠ احمد شلبي ص ٧٢ ــ ٧٤ ٠

(٣٦) د٠ شلبي ، المرجع السابق ص ١٦٧ ٠

Twitter: @abdullah1994

الجملة لاتباعه ، طرد النساء ، اذا رأوا منهن خطـراً على الدعـــوة » (٣٧) ٠

وأخيرا تقضي العادة في الهند باحراق الزوجة عند وفاة زوجها ، كأنما هي وجود ملحق به ، لا يستقل عن وجـوده أثناء الحياة ولا بعد الممات (٣٨) ٠

١٣ ـ المرأة في العهد القديم وعند العبريين : ـ

جاء في سفر الجامعة في العهد القديم « درت أنا وقلبي لأبحث ولأطلب حكمة وعقـلا ولأعرف الشـــر انه جهـــالة والحماقة انها جنون فوجدت أن أمـــر من الموت المـرأة التي هي شباك وقلبها في اشراك ويداها قيود » (٣٩) ٠

وينقل د٠ احمد شلبي عن بابايتره قوله : «ما اسعد من رزقه الله ذكورا ، وما أسوأ حظ من لم يرزق بغير الاناث ، نعم لا ينكر لزوم الاناث للتناسل ، الا ان الذرية كالتجـارة سواء فالجلد والعطر كلاهما لازم للناس ، الا ان النفس تميل الى رائحة العطر الزكية ، وتكره رائحة الجلد الخبيثة ، فهل يقاس الجلد بالعطر ؟ » (٤٠) ٠

أما عند العبريين فالحقيقة ان الحياة العبرية كانت تجعل السيادة المطلقة للرجل على المرأة وتعدد الزوجات كان مباحا لديهم ، العريس يدفع المهر وفق عقود شكلية ، كما انه لم يكن في قاموسهم تزويج الاجانب او الزواج منهم على حد سواء خشية الاختلاط بشعوب اخرى ونخطأ اذا قلنا ان هذا

.....

(٣٧) ثقافة الهند ، ديسمبر ١٩٥٢ ٠
(٣٨) المرأة ذلك اللغز ، عباس محمود العقاد ص ١٢ ٠
(٣٩) الاصحاح السابع عشر الفقرتان ٢٥ ، ٢٦ ٠
(٤٠) د٠ احمد شلبي ، اليهودية ص ٣٠٠ ط القاهرة ، ١٩٧٣ م٠

Twitter: @abdullah1994

التحريم بطل بمرور الزمن والحق انه لم يطبق عندهم « والتاريخ اليهودي مليء بالزيجات المختلطة » (٤١) ٠

لقد كان لليهود قانون فريد من نوعه ولا نقاش فيه بالنسبة للمرأة ، فكان عليها أن تتزوج من أخ زوجها اذا توفي عنها زوجها سواء كان ذلك عن طيب خاطر او قسرا وكراهية ، ان الزواج عندهم صفقة شراء تعد المرأة به مملوكة تشترى من أبيها فيكون زوجها سيدها المطلق (٤٢) ٠

كما ان المرأة تعتبر مطلقة أو مطرودة اذا قال زوجها : « هذه المرأة ليست زوجتي وأنا لست زوجها » وهناك حالة لا يستطيع تطليق زوجته فيها وهو ان يتهمها ظلما بأنها ليست عذراء وهذا يمنعه من طلاقها مدى الحياة ، واذا حدث ان اغتصب احد الرجال فتاة عذراء فعقابه الوحيد أن يتزوجها ، وأيضا هنا لا يستطيع طلاقها أبدا ٠

ولعل أقسى عقوبة عندهم تلك التي كانت تحل بالزاني اذ يرجم حتى الموت ، وهذا يشاكل الدين الاسلامي في هذه الناحية وترجم معه المزني فيها اذا كان الجماع قد تم على رضى منها ، وجاء في التلمود ان موسى قال : لا تشته امرأة قريبك ، فمن يزن بامرأة قريبه يستحق الموت (٤٣) ٠

كانت المرأة الام تبجل عندهم نقول ذلك بناء على ما جاء في الوصايا العشر « اكرم أباك وأمك » دون تمييز بينهما، وفي قاموس الميراث لم يكن للزوجة عندهم فيه وجود ، فلا يحق لها أن ترث شيئا عن زوجها اذا مات ، ان لم يكن في وقت

(٤١) الحضارة السامية القديمة ، ستيبو موسكانتي ص ١٦٩ ٠
(٤٢) فوسكاف لوبون ، اليهود في الحضارات الاولى ص ٥٢ ٠
٤٣) د٠ احمد شلبي ، اليهودية ، ص ٢٧٠ ٠

Twitter: @abdullah1994

من الاوقات انها هي نفسها كانت تعتبر ضمن الميراث والبنت لا ترث الا اذا لم يكن لها أخوة ٠

واذا مات الرجل لم يتزوج أحد اخوته الارملة الجديدة حق لها أن تعود الى بيت أبيها والزواج ثانية (٤٤) ٠

لقد كان الحرق نصيب الكاهن أو ابنة الكاهن اذا ضبطت تمارس الدعارة وكذا الزوج المجرم كان يجازى بنفس العقوبة (٤٥) ، والجريمة الاخيرة لها عقوبة مماثلة في قوانين حمورابي وكان قذف الفتاة العذراء يعاقب بأربعين جلدة (٤٦) ٠

وأخيرا عند اليهود اذا زوج المولى عبده « بامرأة فولدت له بنين وبنات فالمرأة وأولادها يكونون لمولاه ، وهو يخرج وحده » ان أراد حرية والا فليبقى خادم الى الابد (٤٧) ٠

وآخر ما نقوله هنا عن التلمود : ان اليهودي لا يخطىء اذا انتهك عرض أجنبي ، لان كل عقد نكاح عند الاجانب فاسد ، لان المرأة التي لا تكون من بني اسرائيل هي كبهيمة ، والعقد لا يوجد مع البهائم ، فلا يرتكب اليهود محرما اذا أتى امرأة مسيحية ، وان لليهود الحق في اغتصاب النساء غير اليهوديات (٤٨) ٠

---

(٤٤) الاصحاح الاول من سفر روث ٥٩ ٠

(٤٥) سفر اللاديين ٢٠ ، ١٤ ٠

(٤٦) سفر التثنية ٢٥ ، ١ ـ ٣ ٠

(٤٧) الناصر بن محمد قلاوون ، د٠ محمد عبد العزيز مرزوق ٠٦٩

(٤٨) د٠ احمد شلبي ، المصدر السابق ص ٢٧٠ ٠

Twitter: @abdullah1994

١٤ ـ المرأة العربية قبل الاسلام :

كانت المرأة في المجتمع العربي قبل الاسلام لا تستطيع ان تمنع الحمى وتحمي الذمار وهي هدف العدو اذا اغار ، يقصدهن اول ما يقصد فيكون السبي الذي يورث القبيلة القهر والذل ويجللها بالعار ٠

من أجل ذلك كرهوا أن تولد لهم الانثى وهي كراهة تتمثل في صور شتى أهونها الغيظ المكبوت وأقساها الوأد ٠

لقد سجل القرآن الكريم وصفا لعادة وأد الانثى ها انا أقدمها : ـ واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب الاساء ما يحكمون (٤٩) ٠

ووعى ديوان الشعر العربي ذلك النشيد الحزين لأم هجرها زوجها حين ولدت له انثى :

ما لأبي حمزة لا يأتينا
غضبان الا نلد البنينا
تا الله ما ذلك في أيدينا

ومن مأثور قولهم لمن رزىء بأنثى « أمنكم الله عاهدا ، وكفاكم مؤنتها وصاهرتم القبر » ، وما أكثر من رجوا لبناتهم هذا الصهر الرهيب ورأوا فيه خير الاصهار ، قال شاعرهم :

لكل ابي بنت يرجى بقاؤها ثلاثة اصهار اذا ذكر صهر
فبيت يغطيها وبعل يصونها وقبر يواريها وخيرهم القبر

وأنشد آخر : ـ

اني وان سيق الي المهر ألف وعبدان وذو عشر
أحب أصهاري الى القبر

(٤٩) سورة النحل الايتان : ٥٨ ، ٥٩ ٠

Twitter: @abdullah1994

وشاعت فيهم القولة المأثورة :ـ
« دفـن البنـــات من المكرمـــات »

لقد قيل في تعليل الوأد اسباب كثيرة :ـ منها انهم كانوا يئدون الزرقاء والبرشاء والكسحاء تشاؤما منها ويأسا من تزويجها وفيها عاهة ٠

وآخرون وأدوا بناتهم خوفا من الفضيحة والعار (٥٠) أو اشفاقا من نفقتها (٥١) أي الفقر كما ذهب زهدي يكن (٥٢) وقد أشار القـــرآن الى ذلك وذلك ما سنوضـــحه بعد قليل بالتفصيل ٠

قال الاستاذ العقاد: ـ « ان العرب لم يضربوا اللعنة قط على المرأة في جاهليتهم الاولى لان اللعنة التي ضربت على المرأة في القرون الاولى وامتدت الى القرون الوسطى انما جاءت من الايمان بالمحظية التي انحدرت بآدم وحواء من نعيم الفردوس وأصبحت المرأة ملعونة موسومة بالنجاسة والشر عند بعض الناس لانهم ألقوا عليها تبعة الشـــهوات التي تثيرها فيهم وجعلوها مبالسة الشيطان ، مذ كانوا يحسون بالغواية الخفية كلما أحســـوا بغواية الشهوة الحيوانية ، ومناطها المرأة قبل غيرها من هذه الاحياء ، فالعرب لم ينظروا قط الى المرأة هذه النظرة ، ولم يحكموا عليها قط بالنجاسة والاصالة في الشر والخيانة ، لانهم لم يعرفوا الخطيئة بهذا المعنى في عهد الجاهلية ٠

ان عرب الجاهلية لم تضطرهم بيئتهم الى وضع تشريع

(٥٠) بنات النبي عليه الصلاة والسلام ، د٠ عائشة عبد الرحمن ص ٣٠ ، القاهرة ، ط ٢ ، سنة ١٩٥٩ ٠

(٥١) المرأة ذلك اللغز ص ١٧٩ ، عباس محمود العقاد ٠

Twitter: @abdullah1994

لدولة كاملة ، بل تركوا انفسهم على سجيتها وارتجلوا معاملة المرأة ارتجالا كما تدعوهم الى ذلك ضرورة البيئة أو ضرورة اللمحة الحاضرة ، فربما عاملوها معاملة الرقيق المستضعف في بعض الاحيان وربما نسبوا اليها الابناء دون الاباء من الرجال في أحيان اخرى، والمرجع في كل ذلك يعود الى احوال المعيشة العامة في هذه الجزيرة العربية ٠

هذا الوضع خليق أن يجعل المرأة في بعض الاحوال غلا ثقيلا على عواتق ذويها لانها تستنفذ القوت ولا تشترك في حمايته والذود عنها ٠

هذا كله لا يجعلنا نغفل من أن المرأة كانت تحتل مكانة مرموقة في بعض النواحي (٥٢) ، فقد وجد نساء شهيرات مثل زرقاء اليمامة ٠

The Bleu Eyed Woman of Yamama التي كانت تبصر الجيش عن بعد ثلاثين ميلا وتستشار في قومها ولها مركز ممتاز (٥٣) ٠

كما وجدت نساء شهيرات كان زمامهن بأيديهن مثل سلمى بنت عمرو النماريه ، وأم هاشم بن عبدالمطلب، وفاطمة الاغارية زوج زياد العبسي ، وأم الكحلة التي ضرب المثل بنجابتها وغير ذلك الكثيرات بل وأكد صاحب الاغاني ذلك بقوله : ان النساء في الجاهلية كن يطلقن رجالهن (٥٤) ٠

---

(٥٢) زهدي يكن ، الزواج ومقارنته بقوانين العالم ص ١١ ، بيروت ١٩٥٢ م٠

(٥٣) المجتمع الاسلامي ، د٠ احمد شلبي ص ٢١ ٠

(٥٤) Nicholson, Literary Hist. of the Arabs Camb. Univers. Press, p. 25.

(٥٤) الاغاني ، لابو الفرج الاصفهاني ج ٧ ص ١٨ ، قصة اسماعيل بن محمد المعروف بالسيد الحميري مع المرأة التميمية ٠

Twitter: @abdullah1994

ومن ناحية أخرى فان بعض الآبـاء من كنوا بأسماء بناتهم كأبي أمامه النافعة الذبياني ، وأبي الخنساء قيس بن مسعود الشيباني ، وأبي سلمى ربيعه بن رباح « والد زهير » وأبي غدراء حنظلة الطائي ، وأبي سفانه حاتم طي ، وأبي عزه عمرو بن عبدالله الجمي ٠

ومن ناحية اخيرة فان من سادة العرب من كرموا بمدح بناتهم ، وان من هؤلاء البنات من استجير بها فأجارت كبنت عوف الشيباني وفكيهة بنت قتـــاد التي جارت « السليك بن السلكه » فأثنى عليها في شعره المستطاب ٠

لقد كانت المرأة العربية في الجاهلية تشارك في موسيقى الاعياد العائلية والقبلية بالاتهن ، تلك العادة التي استمرت حتى عصر الرسول حيث احتفل صلوات الله عليه بزواجه من خديجة بالافراح والاعياد والموسيقى والرقص ، ان الفن الذي تفوقت فيه المرأة الجاهلية « المرثية والنواح » (٥٤) ، كما وجدت طبعة معروفة بالقيات أو القيان ولكن المغنيـات اللاتي يوجدن عادة في بيت كل عربي ذا مكانة اجتماعية ، وقد كن هؤلاء يعزفن على الآلات يوم بدر ويغنين على كل ماء حيث يعسكرون ويطلن ألسنتهن بهجاء المنافقين (٥٥) ٠

ولا يفوتنا أخيرا أن نذكر ما قاله د٠ صلاح الدين المنجد « وكانت المرأة تخالط الرجال وتحادثهم ، متبرجة سافرة ، وكان تبرج المرأة الجاهلية واضحا حتى أمر القرآن فيما بعد النساء المسلمات بأن لا يتبرجن تبرج الجاهلية الاولى (٥٦) ٠

(٥٤) الفضليات ج ٢ ٢١٥ ، الاغاني ج ١٩ : ٨٧ ٠
(٥٥) تاريخ الموسيقى العربية ، هنري جورج فارمر ، ترجمة حسين نصار ، القاهرة ١٩٥٦ ص ٢٠ ٠
(٥٦) الحياة الجنسية عند العرب ، بيروت ١٩٥٨ م ص ١١ ٠

Twitter: @abdullah1994

أ ـ أول جريمة : ـ وأول من ارتكبها « لقمان بن عاد » من العرب البائدة وذلك انه روع بخيانة نسائه ، فراح يقتلهن انتقاما واشتفاء وانحدر الى الطريق اثر المذبحة ، لقي ابنته فوثب عليها وذبحها متأثرا بما جرب على النساء من خيانة وسـوء ·

ب ـ ضحايا عاشقة : ـ أغار النعمان بن المنذر على تميم حين منعته الاتاوة فحاربهم وسبى نساءهم ، ولما ذهب قيس بن عاصم ـ شيخ تميم ـ ليسترد سباياه تخلفت بنت له مؤثرة ان تبقى مع النعمان ، فعاد قيس وقد جن غضبه فوأد كل بناته ثم مضى على ذلك لا تولد له بنت الا وأدها واقتدى به رجال من تميم وغيرهم ·

جـ ـ آه يا زمن : ـ

وزادني رغبة في العيش معرفتي ذل اليتيمة مخبؤها ذوو الرحم
أخشى فظاظة أو جفاء أخ وكنت ابكي عليها من أذى الكلم
تهوي حياتي وأهوى موتها شفقا والموت أكرم نزال على الحرم
اذا تذكرت بنتي حين تندبني فاضت لعبرة بنتي عبرتي بدم

هذا الشاعر وصف ما ظفر به من راحة الحال بعد موتها :

فالآن نمت فلا هم يؤرقني بعد الهدوء ولا حب ولا حلم

د ـ لون من الرحمة : ـ صعصعه بن ناجيه استنقذ المئات من الوأد خشية فقر واملاق وفعل مثله عمرو بن زيد ابن فضيل القرشي ·

مر صعصعة ذات مرة برجل من تميم يحفر حفرة ، وغير بعيد منه امرأة تبكي متشبثة بوليدة لها فلما سألها صعصعة عما بها أشارت الى الرجل وقالت ، هذا زوجي يريد أن يئد ابنتي وأنثني صعصعة الى الرجل يسأله : ـ

ما حملك على هذا ؟ أجاب : الفقر ·

Twitter: @abdullah1994

فافتداها منه بناقتين يتبعهما اولادها وعاش السيد الكريم ، لا يسمع بمؤودة عن فقر الا سعى في فدائها فلما مات ترك لبنيه مجدا خالدا باهى به حفيده الفرزدق قائلا : ـ

وجدي الذي منع الوائدات وأحيا الوليد فلم يوئد (٥٦)

أما زيد بن عمرو بن نفيل فكانت له طريقة اخرى ، فكان اذا سمع فقيرا يهم بوأد ابنته مضى اليه فقال « لا تقتلها، أنا أكفيك مؤنتها » فاذا كبرت عاد بها الى أبيها فراجعه في أمرها وخيره بين استردادها او ابقائها حيث هي في كنف الذي استحياها (٥٧) ٠

هـ ـ **موقف القرآن** : ـ « ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم » (٥٨) ٠ وقال أيضا « ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم » (٥٩) ٠

والقرآن في هذا يمضي بالوأد الى سببه الاهم والابعد ويتجه به الى التفسير الاقتصادي الذي هو أحدث نظرية في فهم التاريخ سواء في ذلك التاريخ السياسي والاجتماعي والفني ٠

وآخر ما نذكره في حديثنا عن الوأد واثبات اثر البيئة في وقوعه ، ما ذكره زهدي يكن : من أن وأد البنات لم يكن عادة شاملة لجميع القبائل ، بل كان قاصرا على بطون من تميم وأسد ٠٠٠ وفي كل الحالات ان هذه العادة لم تكن متبعة

(٥٦) في رواية : وهنا الذي منع الوائدات ، أنظر هامش ص ٢٤٠ من السيرة ج ١ ٠
(٥٧) السيرة ج ١ ص ٢٤٠ ٠
(٥٨) سورة الاسراء ، آية ٣١٠ ٠
(٥٩) القرآن الكريم ، سورة الانعام اية ١٥١ ٠

Twitter: @abdullah1994

الا بين الطبقة الفقيرة ومخافة الفقر (*) ...

د ـ **الوأد كما يعرفه الزمخشري** :ـ يخرج الرجل وليدته وقد حفر لها بئرا في الصحراء ، فيدسها هناك ويهيل عليها التراب حتى تستوي البئر ، وقيل كانت الحامل اذا أوشكت على الوضع ، حفرت ، حفرة ونقلت قريبا منها ، عندما يجيئها المخاض ، فاذا ولدت بنتا رموا بها في الحفرة ، وان ولدت ذكرا أمسكوه وعادوا به (٦٠) .

ل ـ **نور رغم الظلمة** :ـ قال معن بن أوس وقد رزق ثلاث بنات :

رأيت رجـــالا يكرهـــون بناتهم وفيهن لا تكذب نساء صوالح
وفيهن ، أو لايام يعثرن بالفتى عوائـــد لا يمللنه وفوائـــح

ع ـ **البسوس بين بكر وتغلب** : ـ ان الحرب التي نشبت بين بكر وتغلب ودامت أربعين سنة ، كان سببهـــــا البسوس ابنة منقذ اذا اضافت رجلا ، فضرب كليب ناقـة ذلك الرجل وهو في ضيافة البسوس فأقسم ابن اختها جساس لها ، « ليقتلن غدا جمل هو اعظم عقرا من ناقة جدك » وقتل كليبا سيد تغلب في ثأر تلك الناقة ، أو من أجل كرامة امرأة في ناقة جارهـــا .

ي ـ **مثال المرأة العربية** : ـ ذكـر ان حارث بن عوف ، أشجع فتيان قبيلة مرة جاء أوس بن حارثة ، وهو من أشراف العرب ليطلب احدى بناته الثلاث ورفضـت ابنتاه الكبيرتان هذا العرض ، اما الابنة الصغيرة بهية فقد أجابت : « ولكنني

(*) زهدي يكن ، الزواج ومقارنته بقوانين العالم ص ١١ ـ ١٥ ، بيروت ١٩٥٢ م.
(٦٠) الكشاف ج ٤ ص ١٨٨ .

Twitter: @abdullah1994

والله الجميلة وجها ، الصناع يدا ، الرفيعة حلقا ، الحسيبة أبا . فان طلقني فلا أخلف الله عليه بخير » (٦١) ٠

وافق الوالد على ذلك وأقام الافراح ونصب خيمة كبيرة للعروسين ، ولكن الحارث لم يكن يقترب من عروسه حتى امتنعت عليه قائلة « لا يصح هذا ونحن في جوار ابي » فأمر الحارث بخلع الخيام وتحميل الجمال وغادروا المكان وما أن أظلمت الدنيا حتى أمر الحارث بنصب الخيام ليستريحوا الليل من عناء السفر ، وحاول الحارث أن يعاشر عروسه ان تعاملني معاملة جارية تشرى أو سبية تؤسر في الحرب ؟ لن أسمح لك أن تقترب مني ، الا أن نحتفل بزواجنا بين قبيلتك وتنحر الابل والشياه للضيوف من كل القبائل ، فأمر بالرحيل وأسرع حتى وصل قبيلته وأسرع بدعوة الضيوف ، وأقام احتفالا كبيرا ونحر الابل والشياه ، كما طلبت اليه عروسه ايضا ، ثم اقترب منها الحارث يريد ما وعدت ولكنها ردته وقالت موبخة : كيف تجد وقتا لمداعبة النساء ، والعرب في الخارج تسيل دماؤهم في مذابح القتال بين ذبيان وعبس قبيلة أمي ، اسرع بالخروج وحاول الاصلاح بين القبيلتين المتنازعتين ثم عد لزوجتك التي تنتظر عودتك بأحر من الجمر ركب الحارث توا الى القبيلتين ويقدم من ماله الخاص دية كبيرة يقبلها الطرفان ويعود السلام بعد قتال عنيف دام أربعين يوما ٠

(٦١) العقاد ، المرأة ذلك اللغز ص ١٨٤ ، ونص الكلام المذكور عند زيغريد هونكه جاء كما يلي « انني جميلة الوجه ، ماهرة اليد، ممشوقة القد ، رفيعة الاصل ، وسأتزوجه ولتجازه الالهة ان فكرني طلاقي » شمس العرب تسطع على الغرب ص ٤٦٩ـ٤٧٠، انظر الحديث عنها ايضا في : الزواج ومقارنته بقوانين العالم، زهدي يكن ، ص ١٧ ٠

Twitter: @abdulllah1994

لقد أحصى الحارث عدد القتلى في كل من القبيلتين وعدد القبيلة التي زاد عدد قتلاها عن الاخرى بثلاث آلاف جمل يدفعها لها من ماله ، خلال السنوات الثلاث القادمة كدية عن دم القتلى ، وعاد الحارث محوطا بالاجلال والاكبار من الجميع الى عروسه لتستقبله بالاحضان ،وينجب منها البنات والبنين ٠

رأي : ـ ان هذه الرواية بحد ذاتها ان دلت على شيء وان رسمت في عقولنا ، وصورت في أذهاننا اشياء ، فلا بد انها تعطي لنا صورة متكاملة للمرأة العربية في الفترة التي نسميها نحن بالجاهلية ٠

ك ـ هند بنت عتبة أم معاوية الاموي الاول وحكمها في الرجال : ـ فقد حدث ان خطبها سيدان من قومها ، فاستخبرت اباها عنهما، فقال يصفهما « أما أحدهما ففي ثروة وسعد من العيش ان تابعته تابعك وان ملت عنه حط اليك تحكمين عليه في أهله وماله » ٠

وأما الآخر : « فموسع ، منظور اليه في الحسب الحسيب والرأي الاريب ، قدره أرومته ، وعز عشيرته ، شديد الغيرة ، لا ينام على ضعة ولا يرفع عصاه عن أهله »، فقالت « يا أبت الاول سيد ضياع للحرة ، فما عست ان تلين بعد ابائها وتضيع تحت جناحه اذا تابعها بعلها فأشرت ، وخافها أهلها فأمنت ؟ ساء عند ذلك مالها وقبح عند ذلك دلالها فان جاءت بولد أحمقت وان أنجبت فمن خطأ ما انجبت فاطو ذكر هذا عني ولا تسمه علي بعد ، اما الآخر فبعل الفتاة الحزيرة الحرة العقيلة وأرني الاخلاق مثل هذه موافقة فزوجنيه » (*) ٠

.....

(*) انظر في هذا الصدد ، زهدي يكن ، المصدر السابق ص ١٦ ٠

Twitter: @abdullah1994

ن ـ زنوبيا : ـ الانثى العظيمة بعد منتصف القـــرن الثالث الميلادي فترة ظهور هذه الملكة الشهيرة، اطلق الرومان عليها اسم « سبتميا » اكبر ألقاب الشرف عندهم ، اسمها الاصلي « بنت زباي » سمراء اللون ذات جمال رهيبة سواد العينين ، لؤلؤية الاسنان ، قوية البدن ، عالية الهمة حازمة وكانت سيطرتها صحيحة على تدمر والعراق وما بين النهرين وآسيا الصغرى الى انقرة ،وكادت ان تســيطر ايضا على بنيثيـــا ٠

الى جانب الذي يعنينا هنا هو انها كانت غريبـــة في أطوارها ، ولم ينبغ مثلها في النساء شجاعة ودهاء وشدة ، فضلا عن جمالها وهيبتها ، كانت سيرتها أقرب الى ســـير الابطال من سير النساء ، واذا مشت في ساحة قصرها ٠٠٠ خفت بها الفتيات من بنات الاشراف ، وهي تتقدمهن وتـزري بجمالهـن ٠

كانت كل سجاياها تنم عن أصلها العربي ، كانت تجيد الارامية والقبطية وعلى درجة ما اللاتينية واليونانية ، لها معرفة فائقة بتاريخ الشرق والغرب ، ان زنوبيا وزوجها اذينة لا زال وجودهما حتى الآن في القصص الشعبي ، وهي في القصة الشعبية محـور القصة ، واذينة تابع لها تماما كمـا يستمد القمر نوره من الشمس ٠

قال ياقوت في معجم البلدان « وأما مدينة الزباء فقد قالوا انها المضيق بين الخانونة وقرقيسيا على الفرات» (٦٢)

وقال ابن خلدون « انها كانت تسكن على شاطىء الفرات وقد بنت هناك قصرا ، فكانت ترجع عند بطن المجاز وتصيف

(٦٢) معجم البلدان ، ص ٥٦٠ ٠

Twitter: @abdullah1994

في تدمر » (٦٣) ٠

زنوبيا بادية الاصل من بقايا العرب العمالقة (٦٤) ، وفي لغتها الارامية صبغة عربية (٦٥) ، وتكتمل عظمة زنوبيا عند دراسة حروبها مع أورليان ، التي انتهت بتسليم التدمريين سنة ٢٧٢ م ، ونقف عند هذه الاشارة وما تناولناه بالدراسة هنا ليس الا الجانب الذي يعنينا ، والمهم ان زنوبيا اثبتت للتاريخ ان المرأة العربية التي تهز السرير بيمينها تهز العروش بيسارها ٠

م ـ نساء نابغات : ـ في الجاهلية العربية قبل الاسلام نبغت الخنساء وخرنق وكبشه وجليلة بنت مرة وزوجة كليب الفارس المشهور وميسه بنت جابر وأميمة امرأة ابن الدمينة التي قالت شعرا في عتابه قبل ان تقترن به لم يقل في العتاب اجمل منه ، وذلك ان ابن الدمينة هام بها ثم تجنى عليها ولما زارها بعد غياب طويل قالت له :

وانت الذي اخلفتني ما وعدتني واشمت بي من كان فيك يلوم
وابرزتني للناس ثم تركتني لهم غرضا ارحي وانت سليم
فلو ان قولا يكلم الجسم قد بدا بجسمي من قول الوشاة كلوم

فأجابها معتذرا ثم تزوجها ٠٠٠!

لقد برز في العهد الجاهلي من كان يحتكم اليهن في الشعر والادب ، ومن ذلك ما تحدثنا به الروايات عن أم جندب زوجة امرىء القيس ، انها كانت الحكم بين زوجها وعلقمة

(٦٣) المصادر العربية التي كتبت عنها ، الاغاني ج ١ ـ ابن الاثير ج ١ ، ابو الفدا ج ١ ، ابن خلدون ج ٢ ٠
(٦٤) ابن خلدون ج ٢ ، ٢٥٩ ٠
(٦٥) ترجمة بتصرف ٠

Twitter: @abdullah1994

الفحل ، ومما يروى انهما تحاكما يوم اليها فقالت لهما انظما قصيدتين من وزن واحد وقافية واحدة في وصف الخيل ، فنظم امرؤ القيس قصيدته المشهورة التي مطلعها :ـ

خليلي مرا بي على ام جندب ولم يك حقا كل هذا التجنب

ونظم علقمة قصيدة مطلعها :ـ

ذهبت من الهجران في كل مذهب وللزجر منه وقع اهوج متعب

وعندما انشداها القصيدتين حكمت لعلقمة لان امرىء القيس في رأيها ساق الفرس بسوطه وأجهده عندما قال :ـ

فللسوط الهوب وللساق درة لنقضي لبانات الفؤاد المعذب

أما علقمة فان ادرك فرسه طريدته وهو ثاني عنانه وقد قال :ـ

فأدركهن ثانيا من عنانه يمر كمر الرائح المتحلب

فغضب امرؤ القيس وطلق امرأته فتزوجها علقمة ٠٠!

كان ما تناولناه في حديثنا يقتصر على المرأة في شمال الجزيرة العربية ، ولا بد لنا من اشارة الى المرأة العربية قبل الاسلام في جنوب الجزيرة ومختصر القول فقد ذكر بعض مؤرخيها ان الملك كان مشاعا بين أفراد الاسرة في عهد من العهود ، وان المرأة كانت بعض ذلك المشاع ، فكانت زوجة او خليلة لكل أفراد الاسرة ، يقول الدكتور هيكل « فاذا دخل احدهم خباءها لوطر ، ركز عصاه عند الباب فلا يفتحه عليه احد ، لكن مبيتها كان مع رب الاسرة دائما (٦٦) ٠

كما انه لا يفوتنا ان نذكر ان الملكة بلقيس التي ورثت العرش عن أبيها لثلاثين عاما قبل المسيح ، كانت يمانية

(٦٦) الفاروق عمر جـ ٢ ، ص ٢٤١ ـ ص ٢٤٢ ٠

Twitter: @abdulllah1994

وكانت في اليمن الحاكمة العاقلة العادلة النزيهة ٠

وأخيرا يقول الدكتور علي حسن الخربوطي « انه كان في المجتمع الجاهلي نظم ثابتة للاسرة والزواج والطلاق ، وتمتعت المرأة العربية بقسط وافر من الحرية ، وكان وأد البنات على نطاق ضيق في القبائل الفقيرة (٦٧) ٠

ويقول فارمر : ويبدو ان النساء كان لهن ما للرجال من حرية تقريبا (٦٨) ، كما قال زهدي يكن في حديثه تحت عنوان « نظرة تاريخية الى الزواج » ، ولا يمكننا ان نختتم هذا البحث دون أن نشير الى أن المرأة في الجاهلية كانت حرة في اختيار زوجها بدون أقل معارضة من ذويها ، وكانت تعرض يدها أحيانا على من تختاره من الرجال (٦٩) ، وقد ضربنا أمثلة على ذلك قبل قليل مما يثبت صحة ما نتبناه ٠

ونتيجة دراستنا نقول : اننا نملك الادلة الواضحة عن اعزاز الانثى وتكريمها ، كما ان الادلة والشواهد تؤكد بأن مأساة الوأد لم تكن عملية ابادة بالجملة كما اثبتنا ، ورغم كل هذا فان منزلة البنات كانت أقل من منزلة البنين ٠

(٦٧) التاريخ الموحد للامة العربية ص ٢٣ ٠

(٦٨) تاريخ الموسيقى العربية ـ القاهرة ـ ١٩٥٦ م٠ ترجمة نصار ص ١٨ ـ ص ١٩ ٠

(٦٩) الزواج ومقارنته بقوانين العالم ص ٢٥ ٠

Twitter: @abdulllah1994

المرأة في العصور الوسطى

١ ـ المرأة في الديانة المسيحية وموقف الكنيسة من المرأة :

المسيحية جاءت لتطهير النفس الانسانية من الفساد، وقد ذكرنا قبلا من ان الشاعر جوفنال ذكر في شعره امرأة تبدلت ثمانية ازواج في خمس سنوات ، كما ان الحكيم « سنيكا » قال عن النساء في عصره ، انهن تحسبن اعمارهن بعدد الازواج وهي حالة عمت الدولة الرومانية في جميع ارجائها ومنها بلاد المشرق حيث ظهرت المسيحية ٠

ان الدعوة المسيحية كان لها أثرها في تصفية المجتمعات من شوائب الدولة الرومانية قبيل انحلالها وسقوطها ٠

ان أهم ما يقال في هذا المجال انه لم يرد في الانجيل نص بتحريم تعدد الزوجات ، ولكن الكنائس المسيحية قد انتهت الى تحريمه بالاجتهاد ، كما انتهت بالاجتهاد الى تنظيم الرهبانية وتنظيم الطلاق (٦٩) ٠

لقد جاهدت الكنيسة وعملت كل ما وسعها من اجل ابقاء

(٦٩) العقاد ـ المرأة ذلك اللغز ص ١٩ ٠

Twitter: @abdullah1994

المرأة تحت سيطرة الرجل تبعا لمشيئته (٧٠) ٠

أن الكنيسة قد قررت ان للمرأة الشرعية ان تبيع الامة أو نقصيها عن منزلها (٧١) ، يقول القديس اميروز : سارت حواء بآدم نحو الخطيئة ولم يسر آدم بحواء نحوهـــا من قادته الى الخطيئة من حقه أن يستقبل استقبال الاسياد ٠

ووجهة نظر الكنيسة كما تقول سيمون دي بوفوار : وفي الحقوق الدينية كما في الحقوق الاقطاعية ، لا تكون المـرأة متحررة الا خارج نطاق الزوج ، فالفتاة والارملة ليس لهـا نفس امكانية الرجل ، الذي يستطيع التصرف بثروتها بمجرد الزواج وليس بالاستناد الى عقد لان مصلحة الاملاك تقتضي ان يكون هناك سيد واحد يسهر على ارادتها ، وهكذا يضحى بالمرأة المتزوجة ، منذ عهد الاقطاع حتى يومنا هذا ، عمدا في سبيل الملكية الخاصة (٧٢) ، ان الكنيسة قد اتخذت موقفا متناقضا من المرأة في العصور الوسطى ، اذ اعتبرتهـا من ناحية شريكة آدم ، التي حرضته على المعصية والخطيئة ، وهي لذلك لا تستحق الا كل احتقار وامتهان ، كما نظرت اليها من ناحية اخرى على أنها تمثل مريم العـــذراء أم المسيح وهي لذلك جديرة بكل احترام وتقدير (٧٣) ٠

واذا كانت النظرة الاولى جعلت الكنيسة تطالب رجالها بعدم الزواج على أساس ان المرأة من عوامل الغواية، فان

(٧٠) زيغريد هونكة ، شمس العرب تسطع على الغرب ص ٤٦٨ ٠

(٧١) د٠ محمد عبد العزيز مرزوق، الناصر محمد بن قلاوون ص ٦٩

(٧٢) الجنس الاخر ص ٤٦ ٠

(٧٣) Crump, Jacob, The Legacy of the Middle Ages, p. 402.

Twitter: @abdullah1994

النظرة الثانية جعلتها تساعد على نشر فكرة سمو المرأة (٧٤)

أ ـ أما في الديانة المسيحية : ـ فـان المسيحية جاءت وروما تعج بالفوضى الجنسية فهذا الجنس الذي تحـــرر وانطلق لم يلبث ان فوجىء بانقلاب يغزوه من بعيد جدا ، من فلسطين ، من عقيدة لم تكن في حسبانه اسمها المسيحية٠

جاء المسيح يعلن ان الزواج رباط مقدس يبرمه الله ولا ينقضه الا الموت ، فالرجل والمرأة يصبحان جسدا واحدا في اللحظة التي يتم فيها عقد قرانهما ولا يملك الا الله ان يفصم هذا الجسد الواحد الى نصفين مرة اخرى ، وقد يختلـف الرجل مع زوجته او يهجرها ، او حتى يطلقها ، ولكن هـذا « الطلاق » لا يلغي وحدة جسديهما بمعنى انه اذا تزوج من امرأة اخرى كان زانيا واذا تزوجت مطلقته من رجل آخـر كانت زانيـــة ٠

وقد سمعتم انه قيل للقدماء لا تزن ، وأما أنا فأقول لكم: ان كل من ينظر الى امرأة ليشتهيها ، فقد زنى بها في قلبه ، فان كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك لانه خـير لك أن يهلك احد اعضائك ولا يلقـى جسدك كله في جهـنم ، وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق واما أنا فأقول لكم ان من طلق امرأته الا لعلة الزنا يجعلها تزني ، ومن يتزوج مطلقة فانه يزني من أجل هذا يترك الرجل اباه وأمه ويلتصق بامرأته ، ويكون الاثنان جسدا واحدا ٠٠٠ اذ ليس بعـد اثنين بل جسد واحد ، فالذي جمعه الله لا يفرقه الانسان(٧٥)

المسيح وقف مع المرأة بوضوح حين حماها من الطـلاق وحين ألزم الرجل بالابقاء عليها حتى ولو كانت عاقرا ، وهذا

(٧٤) Coulton, Life in the Middle Ages, vol. 4, p. 23.

(٧٥) انجيل متى ـ الاصحاح ١٩ ٠

Twitter: @abdulllah1994

التأمين المطلق لمستقبل الزوجات ، هو الذي جعل النســـاء يدخلن أفواجا في دين المسيح منذ بدأت دعوته ، قد يتصور البعض ان المسيح ليس نصيرا للمرأة ، من زاوية انه لـم يتناول ابدا قضية المساواة بين الجنسين ، وان المـــرأة في ظله حرمت من الوظائف الدينية التي كانت تتمتـــع بها في المجتمعات السابقة وانها في بيت الزوجة ألزمت بطاعة زوجها بينما لم يلزم الزوج الا بأن يحبها ويصونها ، ولكن يجب ان نعلم ان المرأة في ذلك الوقت كانت موافقة على هذا التمييز، ومؤمنة به وان كلمة « المساواة » لم تكن قد خطرت بعد ببالها ولم يكن مطلوبا من المسيح بالطبع ان يطالب لها بشيء لـم تفكر فيه ، ولو كان المسيح قد ظلم المرأة حقـــا ، لـما كان النساء في مقدمة انصاره ولما اجتذبت عقيدته الغالبية العظمى منهن في وجه المنافسة الضارية من جانب العقائد الاخرى الشائعة في ذلك الوقت بينهن ، خاصة وان المرأة الفلسطينية لم تكن في أيام المسيح جاهلة او سجينة وراء أسوار البيت ، وانما كانت عنصرا ايجابيا يشارك بحرارة في مختلف صور النشاط السياسي والاجتماعي الموجود ، وكانت تمتلـك على الاقل من الناحية الفكرية ان تختار عقيدتها (٧٦) ٠

وقد اخترن النساء المسيحية لانها كانت فعلا في صفهن، ولانها دين رقيق يناسب طبيعتهن الرقيقة ، دين لا قتال فيه بين الآلهة ، ولا مذابح ولا صواعق وانما معـاناة يتلوهـا الخلاص ، وتضحية تتلوها النجـاة ، وعذاب في هذا العالم يتلوه النعيم في عالم الآخرة ٠

لقد استفادت المرأة من تقدم الآداب المسيحية ٠
أما الشرائع فقد بقيت القدوة فيها للشريعة الرومانية،

(٧٦) صلاح حافظ ، المصدر السابق ص ٩٩ ـ ١٠٠ ٠

Twitter: @abdullah1994

مصدر القوانين في العصور الاولى والعصور الوسطى، بل بقيت الى احدث الازمنة عند أشد الامم لهجا بالحريـــــة والمساواة وهي الامة الفرنسية ، فلم تزل المرأة فيها محجورا عليها في معاملتها الى ما بعد الثورة الفرنسية بزمن قليل ٠

ب ـ نظرة المسيحية الى الداعـــرة : ـ ان الديـــانة المسيحية تقطع بأن الداعرة أفضل حظا عند الله من اي رجل قوي يشتريها بماله ، بدليل أن مرور جمل من ثقب ابرة أيسر من أن يدخل غني الى ملكوت الله ، حيث في استطاعة ايـة خاطئة دخول هذا الملكوت ان هي تابت توبة صادقة ، وقصة مريم المجدلية في الانجيل اكبر دليـــل على ذلك ، ان مريم المجدلية هي الوحيدة التي اكتشفت ان المسيح غادر قبره ، وأبلغت الحواريين بذلك ، هي أول من رأت المسيح حيا بعد دفنه وسمعت صـــوته وهو يكلمها اي انها أول شـاهد على معجزة بعثه من جديد ٠

لمح عيسى مريم المجدلية مطأطأة الرأس ، وقد انخرطت في البكاء فاقترب منها ، وبلغ أذنيها وقع أقدام فالتفتت ووقع بصرها عليه ، على عيسى الذي يكاد كبدها يتصدع من البكاء عليه ولكنها لم تعرفه (٧٧) ٠

كل هذا المجد لمن ! كله لامرأة تابت بعد ان كانت خاطئة أو كانت حرفتها الدعارة ، وجملة القول : ان آداب المسيحية تقوم على حماية المرأة والبنت من طغيان الشهوات ، وليس على المرأة خطر تخشاه اضر من طغيانها على المجتمعـات الانسانية ، ان الديانة المسيحية بموقفها هذا تقوم بأكبر عمل فهي توصي وتحـذر وتخاطب الضمائر بالموعظة الحسـنة

(٧٧) يوحنـا : ٢٠ ـ ١٤ ٠

Twitter: @abdullah1994

صيانة لمركز المرأة وتحميه بسلطان آدابها في المجتمع الذي تسوده هذه الآداب ٠

٢ ـ المرأة في أوروبا في العصور الوسطى :ـ

ان مركز المرأة في العصور الوسطى كان ثانويا بحتا، ويبدو ان المصالح العائلية أو المالية هي التي تحكمت دائما في اختيار الزوجة ، اذ كان يراعى فيها بقدر الامكان ، ان تكون وريثة اقطاع او على الاقل وريثة قدر كبير من الارض ، وبعد الزواج يصبح مطلوبا منها ان تضع مولودا ذكرا فان أخفقت في هذه المهمة كان من السهل على زوجها غالبا ان يغري الاسقف بفسخ الزواج (٧٨) ٠

تقول Zoe'oldenbourg ان الزواج كان يستعمل كحرفة لازالة عداوة او بناء صداقة ، ومن ذلك ، ان الفارس كان يمنح ابنته او اخته ، حتى أمه الى أي سيد اقطاعي Sieuyneip يرغب في عقد تحالف معه (٧٩) ٠

حتى انه كانت « تزوج البنت من قاتل ابيها (٨٠) ٠

ومن ناحية اخرى كان من قوانين بعض الجهات مثل سهول شمال فرنسا ، ان الاحوال الشخصية تتبع الام ، وان أبناء القن المتزوج من امرأة حرة يكونوا احرارا (٨١) ٠

لقد فرض النظام الاقطاعي على المرأة ان تكون دائما

(٧٨) Stephenson, Med. History, p. 238.

(٧٩) The Crusades, trans. by A. Carter, N.Y. 1967, p. 23

(٨٠) Ibid, p. 23.

(٨١) الاقطاع والعصور الوسطى في غرب اوروبا ص ٣٩، ت٠ محمد مصطفى زيادة ، مقال ، ح٠، و٠ سجويلاند ، عصر الاقطاع والقنية ٠

Twitter: @abdullah1994

تحت وصاية الرجل ، ابوها في أول الامر ثم زوجها بعد ذلك، اما الارملة فتكون تحت وصية سيدها او اكبر ابنائها ، حقيقة انه كان من حق المرأة ان ترث اقطاعا ولكنها لا تستطيع ان تباشر حقها في حكمه الا عن طريق زوجها ولعله من الواضح بعد عرضنا لقواعد النظام الاقطاعي تفسير هذه الظاهرة في ضوء عجز المرأة عن القيام بأعباء الوظيفة الاساسية لطبقة الاقطاعيين ، هي الحرب (٨٢) ٠

ان النساء كن لا يعاملن كمخلوقات ، لهن ما لهن وعليهن ما عليهن بل ان النساء ذوات المولد النبيل كن يتدرجن في الدرجة الثانية من الناحية الانسانية (٨٣) ، والاغاني الغزلية الباقية ، تدلنا على عبادة الرجل وسيادته على المرأة ، وان كانت هناك ميزة للمرأة فان هذه الميزة لم تكن الا لذوات المولد النبيل ، بما يمنحهن القانون، وعلى العموم كانت هذه الميزة والمنحة القانونية في آن واحد هي السلطة على النساء ذوات المولد الوضيع ، ومن هن أقل مرتبة منهن (٨٤) ٠

انه في العصور الوسطى ، لم يحترم المرأة الا مؤسسة الفروسية التي جعلت حب المرأة واحترام النساء عامة ، ذات تقاليد راسخة ، على عكس الفترة الاولى منها ، حتى قال بعض الكتاب : ان الفارس نصير الله والمرأة (٨٥) ٠

ان أحد الفرسان أقسم ان يمتنع عن شرب الخمر يوما واحدا في الاسبوع وألا يجلس حول طاولة للاكل ولا يرتدي

(٨٢) سعيد عاشور ، العصور الوسطى حـ ٢ ص ٨٩ ٠
Painter, Med. Society, p. 29.

(٨٣) Zoeàoldenbourg, Ibid, p. 23.

(٨٤) Opt. Cit., p. 23.

(٨٥) Wandell, H. The Wandering Scholars, Midlessex,

Twitter: @abdullah1994

قميصا من صوف حزنا على محبوبته (٨٦) ٠

وحلف آخر يمينا : انه اذا لم يتمكن من ترضية محبوبته، قبل شروعه في الحملة الصليبية ضد الاندلس ، فانه سوف يتزوج من اول امرأة مسلمة ، تمتلك عشرين ألف قطعة ذهب (٨٧) ٠

ان أشعار التروبادور تظهر كيف كان جمال المرأة ورقتها وعقلها تستهوي قلب الرجل وحبه ، وان المحب لم يستهدف شيئا غير ادخال السرور على قلب محبوبته ٠ فلا يأبه بطعام او شراب ولا يتأثر لحر او برد في سبيل الفوز بابتسامة رقيقة منها (٨٨) ٠

ان جماعات التروبادور قدرت المرأة اكثر مما سبق، في شعرهم الذي كان موضوعه الحب العذري ولكنه اقتصر على نساء البلاط وكان متأثرا الى حد كبير بالحضارة العربية في اسبانيا ، لان موطن جماعات التروبادور الاصلي كان جنوبي فرنسا هي مناطق سبق لها وان خضعت للنفوذ العربي الذي كانت بداية نهاية في تلك المناطق بعد معركة بلاط الشهداء بقيادة عبد الرحمن الغافقي والتي استمرت من اليوم الثاني عشر أو الثالث عشر من أكتوبر سنة ٧٣٢ اواخر شعبان ١١٤ هـ ، حتى الحادي والعشرين من اكتوبر ٧٣٢ م ، أوائل رمضان ١١٤ هـ ، حيث صمد المسلمون حتى جن الليل ، ثم

(٨٦) Coulton, Life in the Middle Ages, p. 23. 1954, p. 219.

(٨٧) Hui Zinga, the waning of the Med. Ages, Midlessex, 1935, p. 93.

(٨٨) Painter, Med. Society, p. 36.

Twitter: @abdulllah1994

افترق الجيشان دون فصل (٨٩) ولكي نعطي صورة أوضح لاثر المرأة العربية على المرأة الاوروبية في العصور الوسطى لذكر ما ذكره ابن جبير اثناء مروره بصقلية في عهد ملوكها النورمان الذي جاءوا بعد الحكم العربي مباشرة ليحافظوا على مظاهر الحضارة العربية في بلاطهم فهو يقول: وكانت نساء بالرمو العاصمة ، يتبعن العادات العربية فكن لا يخرجن سافرات ويرتدين دائما معاطفهن كما هي عادة النساء المسلمات ويوم عيد الميلاد كن يرتدين ملابسهن الحريرية ومعاطفهن الانيقة · ويتزين بنقاب ملون وقلادات ذهبية ويتضمخن بالعطور ، ويلبسن الاحذية المذهبة ، تماما كما كانت عادة النساء المسلمات في تلك البلاد ثم يتوجهن الى الكنائس في اجمل زينة ·

ومع كل ما سبق ذكره ، فان المرأة لم تتمتع بأي حق قبل زوجها حتى ان كتاب العصور الوسطى أيدوا حق الزوج في ضرب زوجته وايذائها اذا خالفته ، وكل ما فعلته الكنيسة ازاء هذا الوضع هو تجديد حجم العصا التي يستخدمها في ضرب زوجته (٩٠) ·

(٨٩) ان اكمل دراسة عن هذه المعركة للاستاذ محمد عبد الله عنان في دولة الاسلام في الاندلس ، القسم الاول ص ٩٠ ـ ١٠٩ وتجمع الروايات الفرنجية والكتبية على ان الموقعة كانت في اكتوبر سنة ٧٣٤ م يوافق ١ شعبان ١١٤ هـ ، والبعض يقول انها كانت سنة ١١٨ هـ ، ابن عبد الحكم ص ٣١٧ في فتوح مصر ، ابن عذاري في البيان الغرب ج ١ ص ٣٧ ، ولكنه يعود ويذكر المعركة سنة ١١٤ هـ ج ٢ ص٢٨، اما ابن الاثير ص٧٤٠، ابن خلدون ج ٤ ، ص ١١٩ المقري ج ١ ص ١٠٩، ، ج ٢ ص ٥٦ مقتنعون على انها كانت سنة ١١٤ ·

(٩٠) سعيد عاشور ، العصور الوسطى ج ٢ ص ٩٠ ·

Twitter: @abdullah1994

لقد كان الفارس يستعمل حزاما حديديا ذا اقفال، اطلق عليه اسم حزام العفة اعتاد أن يقيد به زوجته قبل ذهابه الى ميدان الحرب ، حتى يضمن بقاءها عفيفة ، وما تـزال هذه الاحزمة موجودة في بعض المتاحف (٩١) ، وذكر د٠ صلاح الدين المنجـد ان احدى القيان في العصر العباسي هي التي صنعت هذا الحـزام (*) ٠

كتب صلاح حافظ فصلا عن هذا الحزام تحت عنوان « مهزلة حزام العفة » ومما قاله : « ولما كان التاجر كثـير الاسفار ، فخير وسيلة لصيانة ممتلكاته الجنسية الخاصة ، هي وضعها في خزانة مغلقة والاحتفاظ بمفتاحها ، وهكـذا ظهر لاول مرة في التاريخ حزام العفة » ٠

وهذا الحزام شريحة من الحديد من حجم كـف اليـد تلتصق بالجلد ما بين الفخذين وتغلق بقفل فوق أسطحـة الحوض ، ولا يتخللها الا ثقب صغير يسمح بممارسـة الحاجات الضرورية ويحتفظ الزوج بمفتاح هذا الحزام طوال سـفره (٩٢) ٠

وقال : والغريب ان أول خيـال تفتق عن هذه الاداة المخجلة كان خيال الشاعر اليوناني الرقيق العظيم هوميروس، فهو في الاوديسة يروي ان افروديت « فينوس » خانت زوجها هيفاستوس مع اخيه أرميس فانتقم هيفاستوس منهـا بـأن حبس حوضها داخل حوض من المعدن ، وحرمها بذلك من أن تخونه مرة اخرى ٠

.....

(٩١) النظرية الجنسية واثرها في المجتمع س٠ فرويد ، د٠ احمـد طلعت ص ١٣٧ ٠

(*) الحياة الجنسية عند العرب ص ٥٠ بيروت ١٩٥٨ م٠

(٩٢) التاريخ الجنسي للانسان ١٣٨ ٠

Twitter: @abdullah1994

ولكن هذه القصة عند هوميروس، لم تكن اكثر من فكاهة يسلي بها جمهوره (٩٣) ، وقال ايضا : وكان أول من سجن النساء في الاحزمة فعلا تجار فلورنسا ، حيث كانت عفة الزوجات هي الاستثناء لا القاعدة ، ومن فلورنسا انتشرت الاحزمة التي غطت اوروبا كلها فيما بين القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، وكان الاسم الشائع لها هو حزام فينوس او الحزام الفلورنسي (٩٤) ٠

ومما قاله : ولم تقف النساء مكتوفات الايدي امام هذا السلاح الذي ابتكره الرجال ضدهن فكانت لهن وسائل كثيرة ماكرة للتخلص من الاحزمة في غياب الازواج ، وكانت المفاتيح المقلدة لحزام العفة ، موضوعا شائعا في معظم المسرحيات الهزلية في ذلك العهد (٩٥) ٠

ان هذا الحزام عاش مثلا في اسبانيا الى منتصف القرن التاسع عشر ، لان مجرد مفتاح في جيب الرجل كان يكفي ـ فيما يبدو ـ لطمأنته حتى ولو سرقوا الصندوق ، لكن المرأة في العصور الوسطى على الرغم من كونها شريكا مغبونا للرجل في ظل النظام الاقطاعي الا أنها احتلت المكانة التالية له مباشرة في الحض والضيعة ، وبعبارة اخرى فانها لم تتمتع بحقوق تجاه زوجها ، ولكنها تمتعت بكل ما لزوجها من حقوق تجاه غيرها ، وهناك امثلة كثيرة من العصور الوسطى لنساء حملن الرسالة اثناء غياب ازواجهن في الحرب وبعد وفاتهم قمن بادارة الضياع والدفاع عنها او بجمع الاموال لفدية الزوج الاسير (٩٦) ٠

(٩٣) المرجع السابق ص ١٣٨ ٠
(٩٤) نفس المرجع ص ١٣٨ ٠
(٩٥) المرجع نفسه ص ١٣٩ ٠
(٩٦) Stephenson, Med. History, p. 268.

Twitter: @abdullah1994

وان كانت سيدات الطبقة الارستقراطية والطبقة البرجوازية قد تمتعن بقسط من الراحة والتسلية فان الفلاحات وزوجات الاقنان حرمن هذه النعمة لان قسوة الحياة كثيرا ما أجبرتهن على مشاركة أزواجهن في الكفاح والعمل من أجل لقمة العيش لذلك أسهمت الفلاحة بسهم وافر في الحياة الاوروبية في العصور الوسطى ، وقامت في داخل المنزل بكل ما احتاجت اليه الاسرة من طعام وشراب وملبس فعملت في جز أصواف الاغنام وغزلها ونسجها وتربية الدواجن وصناعة مستخرجات الالبان ، لهذا كله زيادة على تربية أولادها ، أما في خارج المنزل فقد أسهمت في بناء الاكواخ وقطع الاعشاب وجمع المحصول وتخزينه (٩٧) ، انه على الرغم مما ذكر فان العرف الاقطاعي شمل زوجة القن بشيء من الرعاية اذ جرت العادة على اعفائها وهي في حالة الوضع من ضريبة الدجاجة التي عليها ان تقدمها سنويا قبل الصيام الكبير فضلا عن حصولها في هذه الحالة على بعض المساعدات المادية(٩٨)، أما في المدن فقد اشتغلت المرأة في صناعة الجعة والنبيذ بالاضافة الى غزل الاصواف ٠

ويبدو ان هذه الحرف فتحت بابا للعمل أمام غير المتزوجات من الارامل والعانسات وعلى الرغم من حرص بعض النقابات على تحريم اشتغال النساء بأعمال معينة حتى لا ينافسن الرجال بسبب رخص أجورهن ، وهناك فريق آخر من النساء أقبلن على الحياة الديرية وانخرطن في سلكها لاشباع الناحية الدينية في نفوسهن ، فضلا عن أن هذه الحياة هيأت لهن قسطا من الثقافة الراقية والعمل المنتج (٩٩) ٠

(٩٧) Coulton, Life in the Middle Ages, p. 217.

(٩٨) Crump, Jacob, the Legacy of the Middle Ages, p.248.

(٩٩) والمرجع السابق ٠

Twitter: @abdullah1994

١ ـ الدعارة في أوروبا العصور الوسطى :ـ نرى بادىء الامر أن نشير الى الوصف الذي وصف به الراهب جـــاك دي متره طلبة جامعة باريس في سنة ١١٣٥ م بقوله: انهم لا يرون الفسق اثما ، وكانت العـاهرات يسحبن الطلبة الى المواخير سحبا يكاد يكون قوة واقتدارا ، ويفعلن ذلك علنا في شوارع باريس (١٠٠) ٠

ان العاهرات كن يمارسن حرفتهن الدنيئـة في الطبقة السفلى من بناية المنزل وكانت مشاهداتهن مع القوادين تختلط بمناقشات الفلاسفة في نفس البيت (١٠١)، ومما يلفت النظر ذلك القرار الذي أصدره شارلمان والذي يقضي بأن « يقبض على كل امرأة يثبت احترافها الدعارة وتلقى في ماء النهر حتى تغرق بينما يقف المارة يتهكمون عليها » ٠

ان قمة الدعارة في العصور الوسطى كـانت في عهـد الحروب الصليبية ، فالذين قادوا هذه الحروب كانوا واعين تماما بانه لا يمكن جمع جيش والمحافظة على تماسكه دون وجود وسيلة لاشباع غرائز الجنود ولهذا حفلت الموانىء التي تهبط فيها الجيوش الصليبية والسفن التي تحملهم بالداعرات من كل جنس ولون وجنسية ، وتشهد سجلات الذين كانوا يحسبون حسابات الجيوش الصليبية بأنه كان على الصليبيين في عام واحد فقط ان يوفروا نفقات الطعام والمأوى لثـلاثة عشر ألف داعرة ٠

وعندما انتهت الحروب الصليبية كان على المجتمـــع الاوروبي ان يواجه مشكلة الآلاف المؤلفة من هؤلاء النســاء

.....

(١٠٠) نفس المرجع ، قصة الحضارة ، عصر الايمان (٧) ص ٤٩ ٠

(١٠١) نفسـه ٠

Twitter: @abdullah1994

اللواتي لم يعد لهن مأوى ، ووجدت الكنيسة عندئذ ان الخطر أبلغ من ان تتجاهله ، فقررت ان تتولى بنفسها ايجاد الحل·· ولكن كيف ؟

بالغاء الدعارة على اطلاقها ؟ ان ذلك في رأي رجل كالقديس اوجستين نفسه ، يدفع المجتمع كله الى التعفن والانحلال ·

والحل الوحيد الممكن هو اذن « تحديد اطار الشر » اي تخصيص بيوت لممارسة الرذيلة تحت اشراف رسمي وهو نفس الحل الذي لجأت اليه المجتمعات القديمة فيما قبل عصر الاديان ·

هكذا بدأت الدولة تنظيم الدعارة وفي كثير من الاحيان تولت الكنيسة نفسها هذا التنظيم ، فكان بيت الدعارة في مدينة « افينون » البابوية تحت اشرافها وبرعاية الملكة جوانا ملكة نابولي ، وكانت النساء في هذا البيت يقمن الصلوات في مواعيدها ويحضرن اجباريا موعظة يوم الاحد في الكنيسة ، فالعمل الذي يقمن به منحط حقا ، ولكن ذلك لا يمنع من أن يكن مسيحيات مؤمنات ،وكان على الزبائن ايضا ان يخضعوا لقاعدة دينية ، فالمسيحي هو المسموح له وحده بممارسة الرذيلة في بيتها أما اليهودي والملحد فممنوع من الدخول ·

ويبدو ان تجربة بيت الرذيلة في افينون كانت موفقة جدا لانه سرعان ما أقام البابا بولس الثاني بيتا على نمطه في روما نفسها (١٠٢) ·

وفي مدن اخرى تجنبت الكنيسة ان تزج بنفسها رسميا

(١٠٢) التاريخ الجنسي للانسان ، صلاح حافظ ص ١٤١ ·

Twitter: @abdullah1994

في هذا الموضوع ، ولكن رجالها لم يترددوا ، فكان كثير من القسس والراهبات يديرون بيوتا من نفس النوع ، وقيل عن أسقف قينو ان عدد الداعرات في بيوت الرذيلة التي يملكها، لم يكن أقل من عدد الكتب في مكتبه ٠

ان ممارسة الدعارة في ظل هذه المؤسسات أفضل كثيرا من عمل المرأة الداعرة لحسابها الخاص ، فالعصر هو عصر محاكم التفتيش ويكفي ان تتهم المرأة بأنها تعاشر الشيطان لكي تعدم حرقا دون شفقة او رحمة ، أما في بيت الدعارة فان مديره يشرف على علاقاته الجنسية ويستطيع ان يشهد على الواحدة منهن بأنها لا تعاشر الا زبائن من الآدميين ٠

انه لم يكن هناك غير شرط واحد مفروض على مديري هذه البيوت هو أن لا يستخدموا امرأة متزوجة او راهبة فارة من الدير ، او مصابة بمرض معد ولكن هذه الشروط لم تكن تحترم في كافة الاحوال ٠

ب ــ بذرة خير : ــ ان العصور الوسطى لم تكن شرا خالصا ، فقد بزغت نوازع الخير بين صفوف المواطنين الطيبين وارتفعت في كل مكان صيحات ملائكية تطالب بانقاذ الداعرات من مهنتهن غير الانسانية ٠

واستجابة لهذه الصيحات شجعت الكنيسة انشاء « مؤسسات التوبة » في نفس الوقت الذي كانت تشرف فيه على مؤسسات الرذيلة ، وكان يطلق على هذه المؤسسات اسم « البيوت المجدلية » اشارة الى قصة مريم المجدلية أول تائبة في التاريخ المسيحي ٠

ج ــ بيت الروح في فينا : ــ هذا البيت كان من اشهر البيوت المجدلية في التاريخ تم تأسيسه في القرن الرابع عشر، باشراف الدكتور البرشت الثالث ، وبلغ من ثراء هذا البيت ان أفضل مزارع العنب خارج فينا كانت من ممتلكاته ، لم

Twitter: @abdullah1994

يكن هذا البيت ليستقـــر على ما هو عليه ففي سنـة ١٤٨٠ أصدر الامبراطور فردريك الثالث قانونا يسمح لنساء البيت بتسويق العنب ، مما مهد الطريق لبعضهن لاستئناف الدعارة من جديـــد ٠

تزعمت هذه الحركة امرأة اسمها (ماريا كليبرجر) حيث تزوجت القس المشرف على البيت وضمنت بذلك الستار الملائم لممارسة المهنة دون خوف ، ولما اكتشفت امر البيـت احتله الرهبان الكاثوليك وأغلقت البيوت المجدلية في فينـا وبقيت بيوت الرذيلة تمارس عملها ٠

د ـ **الميني والماكسي** : ـ ان آخر ما تطورت اليه بيوت الدعارة هو الشكل المسمى بالحمام وهو قاعة ضخمة يشغلها حوض ماء يتسع لستة اشخاص وفي هذا الحمام كان النساء يستقبلن الضيوف عاريات ويبادلنهم المداعبات المثيرة ثـم ينتقل الجميع بعد ذلك الى حوض اكبر يسمح بالممارســة الجنسية او الى غرف مزودة بالاسرة اذا كان الزبون يفضل ذلـــك ٠

وقد كان في باريس وحدها ثلاثين حماما من هذا النوع في القرن الخامس عشر ، انتشر في أواخر ذلك العهد « بنات الشارع » اللواتي يتصيدن الزبائن في الطريق ويذهبن معهم الى حيث يريدون ٠

كان هذا النوع من الداعرات يقلق رجال البيوت لانهم لم يكونوا ليستطيعوا التمييز بين فتاة الشارع ، وبين السيدة المحترمة التي تتبرج لمجرد استعراض فتنتها ٠

وعندما أصبحت الحاجة ماسة للتمييز مابين هذيـن الصنفين من النساء لجأت المجتمعات الاوروبية الى الوسائل القديمة الى قوانين روما التي كانت تلزم الداعرات بارتـداء « الميني جوب » حتى يمكن تمييزهن عن النساء المحترمـات

Twitter: @abdullah1994

اللواتي يرتدين « الماكسي جوب » وهكذا صدرت التعليمات في كل بلد في تحديد نوع الثياب المسموح بها للداعرات ، والثياب المحرم عليهن استخدامها ٠

هـ ـ المرأة المحترمة في باريس : ـ حدث ذات مرة أن شاع في باريس بين بنات الشارع عادة استخدام « كلفة » للفساتين من الفرو ، فأعجبت السيدات المحترمات بهذا الابتكار وبدأن يستخدمن نفس الكلفة فما كان من البوليس الا أن أصدر سنة ١٤٥٢ قرارا بتحريم استخدامها على بنات الشارع التي ابتكرنها ٠

على أنه بالفرو او بغير الفرو ، ظلت مهنة الدعارة قائمة ٠

و ـ وأخيرا اغسل يديك : ـ هذه الكلمة هي قصة امرأة ذكية أجبرت زوجها على التوبة دونان تفتح فمها ، اذ كانت كل ليلة تترك له شمعة موقدة وراء باب البيت وبجواره اناء به ماء وفوطة جافة ، فاذا عاد بعد احدى غزواته العاشقة ، لم تسأله اين كنت وانما قالت له فقط ٠٠٠ اغسل يديك ٠٠٠ وبعد فهذه قصة المرأة الصالحة والطالحة على حد سواء في عصور أوروبا الوسطى ، ايام الحرب المقدسة على الخطيئة والادانة المحمومة لنوازع الجسد ، انها صورة تقطع بأنه حيث تشتد الحملة على الدعارة يروج التبذل ، وان كل باب يغلق في طريق تفتتح في مقابله عشرة ابواب ، واذا كانت هذه هي المرأة الداعرة فان المرأة المحترمة كانت مخلوق ناقص لانها عاجزة عن القيام بالوظيفة الاساسية لطبقة الاقطاعيين ، وهي الحرب ، كما سبق وان ذكرنا ذلك نقلا عن الاستاذ بيتنر ٠

Med. Society, p. 29.

Twitter: @abdullah1994

٣ ـ المـرأة البيزنطية : ـ

ان البيزنطيين كانوا يسمحون للفتاة ان تتعامل مـــع الشباب كيفما تشاء دون ان يراقبها احد ٠

انه كان يوجد في العاصمة القسطنطينية شارع يدعى « شارع النساء » وفي هذا الشارع وجد تجار الرقيق والدعارة اللذين ينتظرون ساعة وصول الاسرى والسبايا الـى المدينة وليشتروا بنات الهوى بالمزاد العلني ٠

ان منطقة الاسطبلات من أخطر المناطق في المدينة فلا تجرؤ على الخروج اليها أية امرأة اثناء الليل باستثناء بنات الهوى والتعيســـات ٠

ان نساء المدينة كثيرا ما كن يتعرضن للقتل اذا مـــا غامرت بالخروج في ساعة متأخرة من الليل وذلك لطمـــع اللصوص بما لديهن من جواهر ٠

ان التاريخ لا يعرف مثيلا للاساليب المتباينة في العناية بجسد المرأة ، كما عرفه القرن السادس في العاصمـــــة البيزنطية ٠

لقد كان من أسرار النساء في ذلك العصر وتأنقهن ان تتزود المرأة بأنواع مختلفة من العطور بحيث تستعمل لكل جزء من جسمها نوعا خاصا من العطور (١٠٣) ٠

أ ـ ثيودورا زوجة جستنيان : ـ حياة هذه المرأة طريفة للغاية فقد كانت من أصل وضيع وعملت كراقصة في مسارح القسطنطينية وفي هذه الفترة انحرفت كما ينحرف من يعملن في المهنة ، وكما يقول فيشر « كانت ممثلة عاهرة جمعت كل

---

(١٠٣) الامبراطورة ثيودورا ، بول ويلمان ، دار الروائع بيـروت ، ص ٨٤ ٠

Twitter: @abdullah1994

الصفات التي تليق بمهنتها وتجارتها (١٠٤) ٠

لقد كسبت شهرة خاصة في هذا الصدد ، وقد كتب في ذلك تفصيلاً بروكوبيوس Procopius مؤرخ عصر جستنيان وصاحب كتاب التاريخ السري وقد قابل جستنيان ابنة مروض الدببة الراقصة ثيودورا عقب عودتها من افريقيا (١٠٥) ، وأعجب بها واتخذها زوجة ورفعها الى الوسط الارستقراطي البيزنطي ٠

لقد كانت هذه المرأة تتميز بجاذبية خاصة وكذلك بشخصية قوية ذكية مجربة وقد امتدحها احد الكتاب المعاصرين وهو Johalydes بقوله « انها كانت تفوق العالم بأسره ذكاء » (١٠٦) ٠

والمعروف انها بعد زواجها من جستنيان وجعلها امبراطورة فإن مسلكها أصبح مسلك الزوجة الوفية والامبراطورة الصالحة ، وقد امتازت كامبراطورة بحسن تفهمها للسياسة وكانت سياستها في تصريف شؤون الامبراطورية افضل من سياسة زوجها في كثير من الاحيان، كما انها عرفت بعنف النزوة وحب الانتقام وبرهنت على انها على جانب من النبل ، فضلا عما اتصفت به من الجمال والذكاء والشجاعة والسياسة والحنان وآية ذلك موقفها من ثورة نيقيا سنة ٥٣٢ م حين وقعت العاصمة في يد الثائرين على سياسة جستنيان المالية وأيد الامبراطور ومستشاروه

(١٠٤) اوروبا العصور الوسطى، القسم الاول، ت د العريني، د محمد مصطفى زيادة ص ٤٧ ٠

(١٠٥) بول ويلمان ، المرجع السابق ٠

(١٠٦) تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، د٠ عمر كمال توفيق ص ٤٦، دار المعارف ١٩٦٧ م٠

Twitter: @abdullah1994

فكرة في الهرب من العاصمة فتقدمت ثيودورا وانقذت عرش زوجها بقولها مخاطبة جستنيان « ايها الامبراطور اذا أردت ان يمد في عمرك فعليك بالهرب وأمره يسير فهاك سفنك وهاك البحر ، ولكن أرجوك ان تذكر اذا فزت بالهرب ولذت بالمنفى ان سوف تقول طوال حياتك الطويلة يا ليتني مت قبل هذا وأما أنا فلن أحيد عن المثل القديم الذي يقول بأن العبـــاءة الامبراطورية خير الاكفان » ٠

ان هذه المرأة اليونانية فهمت الوضع السياســـــي ومقتضياته احسن مما استطاع زوجها اللاتيني الثقافة ان يفهم عنــه ٠

ان الفضل يرجع في انشاء اول بيت في أوروبا لانقاذ النساء الساقطات الى هذه المرأة الساقطة (١٠٧) ٠

لقد جمعت ذات يوم خمسمائة داعـــرة وأمرت بنفيهن جميعا الى الضفة الاخرى من البسفور ، مما دفع كثيرا منهن الى القفز من السفينة التي تحملهن (١٠٨) والغرق في مياه بحر مرمرة ٠

والمهم ان ثيودورا تمكنت طيلة حياتها من ممارسة تأثير كبير على جستنيان الى ان ماتت اثر اصابتها بالسرطان سنة ٥٤٨ م ، حيث شاركته الحكم احدى وعشرين سنة ، واذا قال د٠ عمر كمال توفيق « ويمكن القول ان الامبراطوريـة كان يحكمها جستنيان وثيودورا » (١٠٩) فاننـا نقـــول ان الامبراطورية كانت تحكمها ثيودورا وجستنيان تؤيد ذلك كل

(١٠٧) فيشر ، المرجع السابق ، ص ٤٧ ٠

(١٠٨) صلاح حافظ ، التاريخ الجنسي للانسان ، ص ١٣٩ ٠

(١٠٩) تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ٤٦ ٠

Twitter: @abdullah1994

المصادر التي توفرت لنا هنا ، وأبسط الدلالات ما ذكره الدكتور نفسه عن جستنيان والمرأة عندما قال « وزاد جستنيان في حقوق المرأة في مثل حق الزوجة في أن يكون لها ملك خاص يعادل في قيمتها بائنتها ، وحق المرأة في الوصاية على أطفالها وكان ذلك تقدما على القانون الروماني القديم ، لكن يجب أن نلحظ هنا أن هذا الامر كان نتيجة لتأثير الامبراطورة ثيودورا اكثر من تعاليم المسيحية » (١١٠) ٠

ب ـ أم مجرمة : ـ ان أول محنة نسائية تعرض لها القصر البيزنطي هي تلك التي أشعلت نارها ايريني ، وايريني امرأة لم تكن تتعرض عن سمل عيون ولدها في الغرفة التي ولد فيها بعد ان اجبرته قبلا على الزواج من ماريا التي طلقها ليتزوج من احدى خليلاته المسماة ثيودوت ، حيث تزوجت هذه امبراطورة على البلاد الى جانبه سنة ٧٩٥ م (١١١) ٠

وثيودوت هذه احدى وصيفات أمه ، ويحتمل جدا أن ايريني هي التي دفعت بها الى طريقه على أية حال فمن المؤكد انها اخذت تشجعه على مواصلة تلك العلاقة بل هي التي أوعزت اليه أن يتخلص من ماريا حتى يستطيع الزواج من تلك العشيقة واستمع هو الى نصيحتها رغم معارضة البطريرك تراسيوس في طلاق ماريا وكان جزاء لعبها هذا ان امر هذا الشاب الامبراطور بالقبض عليها وزجها في أحد الاديرة ٠

استمرت ايريني في التآمر على ولدها قسطنطين وأثناء

(١١٠) تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ٥٦ ـ ص ٥٧ ٠

(١١١) الامبراطورية البيزنطية ، د٠ نبيه عاقل ، ص ١٧٠ ٠

Twitter: @abdulllah1994

غيابه في حمامات بوسا PUSA خارج العاصمة ، دبرت المرحلة الاخيرة من مؤامرتها ونفذتها سنة ٧٩٧م ٠ وكان كما ذكرنا من سمل عينيه في الغرفة التي ولد فيها ، والعـــزاء الوحيد الذي تبقى له هو أن زوجتـــه أو عشيقته ثيـــودوت رغبت في البقاء معه فسمح لها بذلك وبذا عاشا معاً باقـي حيانهما بعيدا عن السياسة ٠

لقد ثملت هذه الام المجرمة بالانتصار على ولدها وفعلت شيئا فريدا في تاريخ الامبراطورية ألا وهو توليها العرش في هذه المرة بلقب امبراطورة حتى خلفها نقفور في ثورة اكتوبر ٨٠٢ م ، وهو أحد كبار قادة القصر الامبراطوري وكانـت نهاية حياتها في المنفى سنة ٨٠٣ م ، في جزيرة لسبوس حيث كانت آخر امبراطور في الاسرة الايسورية ٠

جـ ـ امرأة مغرية : ـ كثيرا ما هيمن على القصـــــر البيزنطي نساء بالجملة ، ففي النصف الاول من القرن الحادي عشر اعتلت العرش احدى النساء وتدعى « زوي » وكانت هذه المرأة الامبراطورة نرجسيـــة شهوانيـــة تزوجت كيفما شاءت وعشقت كيفما شاءت لقد قتلت برغبتها الجنســـية المجحفة ثلاثة رجال ولولا ان هذه العجوز التي احتفظـــت بجمالها وحيويتها حتى آخر يوم من حياتها توفيت بعد زواجها الثالث لاختارت من عشاقها زوج رابع ليـكون المـول الاول لرغبتها المجنونة ، وكان الرجال ينظرون لمن تحتويه على انه الدون جوان الاول بين أحضان افروديت بيزنطة ٠

خلفتها على العرش امبراطورة تدعى ثيودورا ، غير التي سبق ذكرها وتوفيت سنة ١٠٥٦ م (١١٢) ٠

(١١٢) انظر بالتفصيل المرجع السابق ص ٢١٥ ، ١٦ ، ١٧، المـدولة البيزنطية ، الدكتور الباز العريني ، ص ٢٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ وهي تفاصيل شيقة للغاية ٠

Twitter: @abdullah1994

وأخيرا فان هذه الفترة التي استمرت ثلاثين سنة متواليات من حكم نساء القصر الى جانب ملوك ضعاف قصمت ظهر الامبراطورية البيزنطية ومن العوامل التي ساعدت على سقوطها فيما بعد ٠

٤ ـ المرأة في الاسلام والدولة العربية الاسلامية :ـ

« ان الله وسمني بميسم جمال ، احببت ان يراه الناس ويعرفوا فضله عليهم ، فما كنت لأستره والله ما في وصمه يقدر ان يذكرني بها احد » ٠

« عائشة رضي الله عنها عندما كانت تكشف عن وجهها » ٠٠

جاء الاسلام فبدأ من النهاية التي انتهت اليها آداب الحضارة وهي خلاصة العرف الذي تعارف عليه سادة الحضر في معاملة المرأة العربية ، الا انه جعل هذا العرف حقا مكتوبا على الرجال لكل امرأة من كل طبقة ، ولم يقصره على عقائل البيوتات ، كما كان مقصورا عليهن في آداب الجاهلية بحكم الاصطلاح والعادة يتبعه من يرضاه ويهمله من يأباه (١١٣) ٠

جاء الاسلام فأولى المرأة عناية فائقة على مبدأ التفرقة بينها وبين الرجل في القيمة الانسانية كما قضى على التفرقة بينهما امام القانون ، كما حرر المرأة من قيود المجتمع الجاهلي لتكون عضوا نافعا في المجتمع الاسلامي (١١٤) ، فليس من أحكام الديانة الاسلامية ولا ما ترمي اليه من

(١١٣) العقاد ، المرأة ذلك اللغز ، ص ١٩٣ ٠

(١١٤) د٠ علي الخربوطي ، التاريخ الموحد للامة العربية (٤١)٠

Twitter: @abdullah1994

مقاصدها ما يمكن أن ينسب اليه انحطاط المرأة المسلمة (١١٥)

ان المطلع على الشريعة الاسلامية يعلم ان تحرر المرأة هو من أنفس الاصول التي يحق لها ان تفخر بها على سواها لانها منحت المرأة من اثنتي عشر قرنا مضت الحقوق التي لم تنلها المرأة الغربية الا في هذا القرن وبعض القرن الذي سبق (١١٦) ٠

فالمرأة في شريعة الاسلام انسان مرعي الحقوق والواجبات ٠٠٠ كان من حق الرجل قبل الاسلام ان يتخذ المرأة ميراثا ، كما يرث الابل والخيل والمتاع ، فأبطل الاسلام ذلك بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء » ٠

أما المبايعة والانتخاب الذي جاهدت المرأة الاوروبية في سبيله جهادا مرا في مطلع هذا القرن ، فقد منح للمرأة المسلمة ، واليك ما جاء في سورة الممتحنة : « يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم » ٠

وقال تعالى :

« وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيهن خيرا كثيرا » ٠

ويقول تعالى :

« ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه

(١١٥) انيس المقدسي ، الإتجاهات الادبية ، ٢٥٨ ٠
(١١٦) قاسم امين ، تحرير المرأة ، ص ١٥ ٠

Twitter: @abdullah1994

حياة طيبة لنجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون (١١٧) ٠

ويقول تعالى :

« من يعمل الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نفيرا (١١٨) ٠

ويقول أيضا :

« وللرجال نصيب ما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن (١١٩) ٠

ويقول : ـ

«والزاني والزانية فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة»(١٢٠)

ويقول : ـ

« والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبوا نكالا من الله » (١٢١) ٠

لقد سوى الاسلام بين الرجل والمرأة في الحقوق المدنية فللمرأة في الاسلام شخصيتها المدنية الكاملة ، ولا يجوز لزوجها ان يأخذ من مالها شيء قل ذلك او كثر ٠

قال تعالى : ـ

« وان أردتم استبدال زوج مكان زوج ، وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا » (١٢٢) ٠

(١١٧) سورة النحل آية ٩٧ ٠
(١١٨) النساء اية ١٢٤ ٠
(١١٩) النساء اية ٣٢ ٠
(١٢٠) سورة النور اية ٢ ٠
(١٢١) سورة المائدة اية ٣٨ ٠
(١٢٢) النساء اية ٢٠ ٠

Twitter: @abdullah1994

وقـــال : ـ

« وءاتـوا النساء صـــدقاتـهـن نحلـة فإن طبن لكم عن شيء منه نفســـا فكلـوه هنيئا مريئا » (١٢٣) ٠

جاء الاسلام فوضع حدا للمأساة البشرية الفاجعة التي جاوزت في بشاعتها أقسى المدى وأول ما نزل من آياته تعالى في الوأد قوله عز وجل منـــذرا بيوم الهول الاكبر « واذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت » (١٢٤) ٠

انه لم تنج من محنة الزهد في ولادة الانثى « مريم » العذراء المصطفاة على نساء العالمين « اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا ، فتقبل مني انك انت السميع العليم ، فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتهـا مريم » (١٢٥) ٠

هي اذن نزعة قديمة في البشر ٠

لقد كانت وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم على منهاج القرآن في انصاف المرأة ورعايتها فكان عليه السلام يقـــول :

« خيركم خيركم للنساء » و « ما أكرم النساء كريم ولا أهانهن الا لئيم » ٠

وأسند الوصاية بها في بعض الاحاديث الى وحي جبريل

(١٢٣) سورة النساء اية ٤ ٠
(١٢٤) سورة التكوير ٨ ، ٩ ٠

Twitter: @abdulllah1994

حيث قال « ما زال جبريل يوصيني بالنساء حتى ظننت انه يحرم طلاقهن » ٠

نقل البخاري في صحيحه ان السيدة عائشة قالت :ـ

« جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني ، فلم تجد عندي غير تمرة واحدة ، أخذتها فقسمتها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت ، ثم دخل الرسول صلى الله عليه وسلم فحدثته بأمرها فقال : من يلي من هذه البنات بشيء فأحسن اليهن كن له سترا من النار » ٠

وفي صحيح مسلم عن مالك بن انس انه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من عال جارتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو « وضم أصابعه » ، وفي سنن ابن داود عن ابن عباس قال ، قال صلى الله عليه وسلم : « من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها ـ يعني الذكور ـ أدخله الله الجنة » ٠

وروى البخاري كذلك حديث الصحابي الذي جاء يستأذن الرسول في أن يوصي بماله للمسلمين ، اذا كان لم يرزق بولد ذكر ولم تكن أحكام المواريث قد نزل بها القرآن بعد فسأله الرسول ، هل له بنات ؟ فأجاب بنعم ، أبى عليه الرسول ان يوصي بماله وله بنات ٠

وكذلك فعل الرسول مع امرأة من الانصار جاءته بابنتين لها فقالت « يا رسول الله هاتان ابنتا ثابت بن قيس ، قتل معك يوم أحد ، وقد استفاد عمهما مالهما وميراثهما ، كله فلم يدع لهما مالا الا أخذه ، فما ترى يا رسول الله ، فوالله ما تنكحان ابدا الا ولهما مال » فقال الرسول عليه السلام متأثرا « ويقضي الله في أمرك » وأمهلهما الى الغداة فنزلت آية المواريث فقال صلى الله عليه وسلم أدعو الى المرأة

Twitter: @abdullah1994

وصاحبها فلما جاءا قال لعم البنتين اعطهما الثلثين واعط امهما الثمن ومابقي فهو لك » (١٢٦) ٠

ما رؤي أكرم منه قط في معاملة الاناث والترفق بهن والانتصاف لهن ، ويكفيني هنا ان أشير الى موقف نبيل لا أعرف ادل منه على مدى ما كانت الانثى ، تطمع اليه من عز وكرامة في كنف الرسول صلى الله عليه وسلم عن عائشة رضي الله عنها ، ان فتاة دخلت عليها فقالت وهي بادية الانفعال والغضب « ان أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته وأنا كارهة فدعتها السيدة الكريمة لتجلس حتى يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ٠

وجاء النبي وسمع شكوى الابنة فأرسل الى أبيها حتى اذا حضر ، جعل أمر الفتاة اليها فقالت وقد زال عنها ما كانت تشعر به من غضاضة « قد أجزت ما صنع أبي ولكن أردت أن أعلم النساء من الامر شيء ؟ » ، لقد أجارت زينب بنت الرسول أبا العاص بن الربيع قبل أن يسلم (١٢٧) ٠

واستأمنت أم حكيم بنت الحارث ابن هشام ـ عام الفتح ـ لعكرمة بن ابي جهل ، فأمنه الرسول مع انه كان قد ذكر اسمه بين الذين أمر بقتلهم ولو وجدوا تحت أستار الكعبة ، وفي صبيحة يوم الفتح لاذ رجلان من بني مخزوم ببيت أم هانىء بنت أبي طالب ، فدخل أخوها علي في اثرها فقال « والله لاقتلهما » فأغلقت عليهما باب بيتها ثم سعت الى الرسول فأخبرته خبر الرجلين من بني مخزوم واصرار أخيها علي على قتلهما ، فقال الرسول « قد أجرنا من أجرت

(١٢٦) سنن ابن ماجه ٤٨ / ١٨ ٠
(١٢٧) ابن هشام ، السيرة ٤ / ٥٣ ٠

Twitter: @abdullah1994

يا أم هانىء وأمنا من أمنت فلا يقتلهما » (١٢٨) ٠

وقد حث الرسول الكريم على تعليم المرأة فقال « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ، والاسلام لا يفرق في التعلم والثقافة بين الحرة والامة ، فقد روى البخـــاري في صحيحه عن أبي برده عن أبيه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيما رجل كانت عنده وليدة ـ أي جارية ـ فعلمها فأحسن تعليمها ، وأدبها فأحسن تأديبها ثم عتقهـا فتزوجها فله أجران » ، وقال صـلوات الله عليه في خطبـة الوداع « استوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان ولا يملكن لانفسهن شيئا اونكم اخذتموهن بأمانة الله » ٠

كما قال عليه الصلاة والسلام لمن طلب اليه أن يدله على أفضل البر « عليك أمك » فقال السائل « ثم ؟ » فقال الرسول « عليك أمك » فقال السائل « ثم ؟ » فقـال الرسول « عليـك أمك » ثم قال عليك أباك (١٢٩) ، من كل هذا نذهب الى أن معاملة النبي للاناث على قرب عهد الجاهلية ، كانت فوق الذين طمعن فيه أو رنون اليه من عزة وكرامة ومروءة ٠

ان البيئة كانت محتاجة الى هذا المثل الصالح والقدوة الطيبة في شخص الرسول الكريم لتقاوم ما ألفت في معاملة الانـــاث ٠

تقول زيغريد هونكه « ان النساء في صدر الاسـلام ، لم يكن مظلومات او مقيدات ، فالرسول لـم يـأمر بحجـب النساء عن المجتمع، لقد أمر المؤمنين من الرجال والنساء على حد سواء ، بأن يغضوا الطرف وأن يحافظوا عـلى أعراضهم

.....

(١٢٨) ابن هشام ، السيرة جـ ٤ ص ٦٠ ٠
(١٢٩) ابن هشام ، السيرة ص ٦٧ ـ ٦٨ ٠

Twitter: @abdullah1994

وأمر النساء بأن لا يظهرن من أجسادهن الا ما لا بد من ظهوره وألا يظهرن محاسن أجسادهن الا في حضرة أزواجهن ، لقد كانت خديجة نموذجا لشريفات العرب ، أجاز لها الرسول أن تستزيد من العلم والمعرفة كالرجل تماما » (١٣٠) ٠

ان أكبر المؤرخين العرب ، محمد بن جرير الطبري الذي توفي سنة ٣١٠ هـ جاء ليقول « ان قضاء المرأة في جميع الاحكام جائز » (١٣١) ، وهذا في حد ذاته يعزز مطالبة المرأة اليوم بأن يكون من بين حقوقها في المساواة مع الرجل أن تتولى القضاء ٠

لقد قرر الاسلام على المرأة ان تؤدي واجبها نحو بيتها ولا يكلفها بما لا طاقة لها به ولعل الدارس للتاريخ الموحد للامة العربية ابتداء من صدر الاسلام يجد ان هذه الاحكام والقوانين اعطت المرأة مكانة فريدة عن غيرها في المجتمعات الاخرى ، فالزواج على سبيل المثال قدسه الاسلام وطالب بالعدل فيه ان كانت الزوجات أكثر من واحدة فقال تعالى : « وان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة » وقد قررت نفس الآية انه لا يمكن أن يعدل الزوج وعليه أليس هذا نصا صريحا يطلب فيه من المؤمنين ان يتزوج بواحدة فقط ؟ ومن الذي يستطيع أن يعدل بين النساء ؟

عروة وعفراء : ـ هذا المثل يرينا انه كان للمرأة أن تقول ما تريد ، فهذه عفراء تحتج على اجبار أهلها لها ، من الزواج بالسري ، الرجل الثري الذي اشتراها بالمال دون أن يعلم انه قد وجه سهما الى صدر ابن عمها وحبيبها الذي يتوق الى الزواج منها وهو عروة بن حزام ، فقد احتجت على

(١٣٠) شمس العرب تسطع على الغرب ، ٤٧٠ ـ ٤٧١ ٠
(١٣١) مقدمة كتاب اختلاف الفقهاء ، ص ١٦ ٠

Twitter: @abdulllah1994

الزواج الذي أجبرت عليه ودخلت خيام زوجها بظاهر الحي وهي تنشـــــد :

يا عرو ان القـوم قد نقضوا عهد الالـــه وحـاولوا الغدرا
يا عـرو لا تبقى عـلى ثقـــة في الناس او ترجو بهـم امرا
ساموا صبـــاي كـأنني سـلع تبتاع في الاسـواق او تشرى
لهفي عليـــك وانت في محـن تبغي هواي وترتجي المهرا (١٣٢)
لو يا ابن عم كـان لي حيـــل لشققت بعد غيابك الصدر (١٣٣)

هذا الاحتجاج كان في صـدر الاسلام في عهد ثانـي الخلفاء الراشدين وهو الخليفة العادل عمر بن الخطاب «الذي حينما وقع على مسامعه الخبر قال « والله لو علمت أمرهما لجمعت بينهما » ٠

ان هذه القصة قد حدثت على أرض جاهلية بحتة، كانت قد خرجت لتوها من الجاهلية الى رحاب الاسلام ٠

اننا نقطع بأن بذرة الاصلاح التي أرسى قواعدها الدين الحنيف ما كانت تسير دون عوائق تشدها الى الوراء ولو عن طريق التزوير والتقـــليد ، وما كانت حركـــات الردة على الرسول صلى الله عليه وسلم الا مثالا عـلى ذلـك وهـذه الحركات كانت عبارة عن صحوة الموت للمفاسد التي اندثرت بظهور الاسلام وافسد ما وصلنا فيمجال موضوعنا ما حدثنا به عمر بن علي بن طباطبـا في كتـابه « الفخـري في آداب

(١٣٢) كان عروة قد ذهب الى الشام الى قريب له لعله يحصل على المال الذي طلبه اهلها مهرا لها وعندما عاد يحمل المال وجـد اهلها قد زوجوها من الرجل المذكور ٠
(١٣٣) فايد العمروسي ، عفراء قصة الحب الخالد ص ١٠٨ ــ ١٠٩، نظرة الى الحب والحب عند العرب ، علي امين عثمان، بحث غير مطبوع ٠

Twitter: @abdullah1994

السلطانية » وغيره من المؤرخين القدمـاء مثـل الطبري في تاريخه ، ولكن ابن طباطبا روى لنا المثـال الذي اخترناه هنا بأسلوب مختصر ومفيد ، ومحتوى هذا المثال انه « ظهـر في ايام أبي بكر مسيلمة (١٣٤) وأدعى ان الـوحي ينزل عليـه من السماء واجتمع عليه ناس كثير من قبيلته وغيرهم ، ثـم ظهرت امرأة من العرب تدعى سجاح وادعت ايضا انها نبية وان الوحي ينزل عليها وتبعها بنو تميم وهم قبيلتها ثم سارت لقتال مسيلمه ، وكانت جموعها اكثر من جموعه فلمـا عـلم بمسيرها اليه قال لاصحابه ما الرأي ؟ قالوا ان تسلم الامر لها فلا طاقة لنا بها وبمن معها فقال مسيلمة دعوني انظـر في امري ، ففكر وكان داهية وارسل اليها وقال ينبغي ان نجتمع انا وانت في موضع ونتدارس ما ينزل علينـا من الوحي فمن كان على حق اتبعه الاخر ، فأجابته الى ذلك وأمر مسيلمة ان تضرب له خيمة من ادم، ويستكثر فيها من العود وقال « ان المرأة اذا شمته ذكرت الباه ، ثم اجتمع اليها في القبة وخادعها وواضعها فلما قام عنها قالت ان مثلي لا يجري امرها هكذا ولكن اذا خرجت اعترفت لـك بالحـق واخطبني الى قومي فانهم يزوجونك ثم اقود بني تميم معك ، فلما خرجت قـالت انه قرأ علي ما نزل عليه من الوحي فوجـدته وقـد سـلمت الامر اليه فخطبها وزوجوه وجعل مهرها اعفائهم مـن صلاة العصر (١٣٥) ، وهكذا اضحت سجاح امرأة بعـد ان كانت نبية كاذبة » .

---

(١٣٤) هو مسيلمة الكذاب من بني حنيفه ، وكانت حركته مـن اخطر حركات المرتدين ، ظهرت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وقضى عليه القائد المغوار خالد بن الوليد .

(١٣٥) الفخري في الاداب السلطـانية ص ٧٤ ، ٧٥ ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٦ م.

Twitter: @abdullah1994

أنه في عهد الخلفاء الراشدين كانت نساء المدينة يحسن الغناء ويروي المؤرخون ان الخليفة الزاهد عمر بن الخطاب كثيرا ما كان يقف اثناء جولاته الليلية يصغي الى موسيقاهن، اما في المنازل الموسرة فكانت اجنحتهن مستقلة شأنها في انجلترا زمن الانجلوساكسون والنورمانديين الاولين ، كما كانت تفرش بالطريقة نفسها (١٣٦) ، وكان لباس المرأة سروالا واسعا وقميص مفتوح عند العنق وكن يلبسن فوقه وخاصة في فصل الشتاء البارد سترة ضيقة ، ولكن اللباس الرئيسي كان عبارة عن رداء طويل يشبه تلك الاردية التي ترتديها نساء الانجلوساكسون ، ولكن اذا خرجن من بيوتهن كن يلبسن فوقه عباءة طويلة اخفاء للوجه وبقدر ما تحمي من الغبار والوحل تصون مفاتن المرأة المسلمة ، كما كن يرتدين منديلا فوق الرأس يعصبنه حول جباههن (١٣٧)٠

لقد كان لهن حرية تامة في اختيار ازواجهن كما يقول فون كرومر (١٣٨)، ولم يعرفن نظام الاحتجاب الذي ظهر في العصر العباسي ولا زال في بعض البلاد الاسلامية حتى اليوم ، فالنساء في عصر الراشدين كن يتنقلن بحرية دون حجاب ، ويحضرن خطاب الخلفاء ويستمعن الى محاضرات علي بن ابي طالب وابن عباس وغيرهما دون خوف او وجل من الرجل الذي لم تكن قد أثرت فيه بعد تأثيرات الفرس أو البيزنطيين ٠

لقد كانت المرأة العربية تشارك في مجالات الحياة المختلفة وجدير بنا ان نذكر ان التاريخ قد سجل لهن كل الاعمال

(١٣٦) سعيد امير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ص ٧٣ ، ص ٠٧٤
(١٣٧) نفس المرجع ، ص ٠٧٥
(١٣٨) زهدي يكن ، الزواج ومقارنته بقوانين العالم ص ٢٥ ٠

Twitter: @abdullah1994

التي انيطت لهن ، ومن المؤلم ان لا تنسب اعمال الاسعاف النسوية الى العرب ، فالعرب كانوا يشركون النساء معهم في الحروب ويعطونهن واجب مؤسسات الهلال « او الصليب الاحمر » في يومنا هذا ، فقد كن في معركة القادسية يتسلمن الجرحى من حاملي النقالات ويقمن بتمريضهم ومداواتهم في العذيب الذي كان بعيدا عن المعركة وتتوفر فيه المياه ٠

وتتجلى شجاعة المرأة العربية في هذه المعركة بقصة الخنساء « تماضر بنت عمرو بن الشريد السليمية » الشاعرة المشهورة ، وقد اشتركت في معركة القادسية ، وكان لها أربعة أولاد جمعتهم قبل المعركة قائلة لهم « يا بني انتم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ، ووالله الذي لا اله غيره انكم لبنو رجل واحد، كما انكم بنو امرأةواحدة لا خنت اباكم ولا فضحت خالكم ولا هجت حسبكم ولا غيرت نسبكم وقد تعلمون ما امد الله للمسلمين من الثواب العظيم في حرب الكافرين واعلموا ان الدار الباقية خير من الدار الفانية »٠

فلما اشرق الصبح اشتركوا في الصفوف المتقدمة واستشهدوا جميعا ، فلما بلغها خبرهم قالت « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وارجو ربي ان يجمعني بهم في مستقر رحمته » (١٣٩) ٠

لقد شغلت المرأة العربية مكانا بارزا في المجتمع ولعل ما قمن به نساء آل ابي سفيان في معركة اليرموك لخير دليل على ذلك ناهيك عن البطلة خولة بنت الازور ، التي تقف سؤددا شامخا في هذا السبيل ، لقد أخذ التيار الاسلامي في عهد الراشدين يتحول الى تيار قبلي في عهد الامويين ،

(١٣٩) محمود الدره ، تاريخ العرب العسكري ، (٣٧٨)٠

Twitter: @abdullah1994

فالمرأة في عهد الدولة الاموية كانت تعتز بأهلها وقبيلتها وهذا الاعتزاز دعمه اعتزاز العرب بالدين الجديد ، فهذه سوده ابنة الاشتر عندما قدمت على معاوية ، وسألها عن قولها لاخيها :

وأنصر عليا والحسين ورهطه
وأقصد لهند وابنها بهوان

وذلك عندما جاءت تطلب من معاوية عدم تذكر الماضي، وتطلب منه عزل وال ظالم وتقول له : « فاما عزلته فشكرناك واما لا فعرفناك · ثم يسكت معاوية فتقول :

صلى الاله على روح تضمنه
قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

وتقصد عدل علي بن ابي طالب، مما جعل معاوية يطلب أن يكتب لها بالانصاف والعدل (١٤٠) ·

والى جانب اعتزاز المرأة بقبيلتها مشاركتها بالسياسة وهو الامر الذي سنزيده وضوحا فيها يلي وفي الفقرة الختامية من هذا الحديث اثناء حديثنا عن المرأة في حزب الخوارج مما يثبت ان المرأة العربية كانت تشترك في السياسة ، وكذلك المشايعة لبعض الاحزاب ·

ان امرأة النعمان بن بشير لم تكن لتحتمل خيانة زوجها لقبيلتها ولبني امية ، فقد خرج عليهم في حمص ، وهم في احلك الظروف بعد وفاة يزيد ، لينضم الى ابن الزبير، وليرسل الجيوش الى مرج راهط لتقاتل مع قائد ابن الزبير

(١٤٠) زهدي يكن ، المصدر السابق ص ١٩ ·

Twitter: @abdullah1994

الضحاك بن قيس، وهو الآخر خارج على بني امية ولهم عليه الفضل الكبير ، فلما هزم الضحاك فر النعمان من حمص ومعه زوجته نائلة بنت عمارة الكلبية وابنه، ولكن ألقي القبض عليه وقطع رأسه وألقي في حجر نائلة ام ابان التي كانت تحت الحجاج بن يوسف فقالت زوجه نائلة « ألقوا الرأس الي فأنا أحق به منها » فألقي الرأس في حجرها، ثم اقبلوا بها وبالرأس حتى انتهوا بهم الى حمص فجاءت كلبا من اهل حمص فأخذوا نائلة وولدها (١٤١) ٠

ان نائلة كانت تعرف انه لو انتصر الضحاك لكان ذلك مصيبة تحل بأهلها وقبيلتها فهي أحق بالرأس لا كزوج يعز عليها، بل كشخص ذو باع في أهلها وقبيلتها ، ان شهامة المرأة في عهد الدولة العربية الاسلامية لهي فخر للامة العربية على مدى التاريخ ، انها تلك المرأة من الكوفة التي لم تهب سطوة عبيد الله بن زياد ، حاكم يزيد عليها حيث ادخلت مسلم بن عقيل الذي جاء لاخذ البيعة للحسين من اهل بيتها ، في الوقت الذي طأطأ فيه كثيرون ممن بايعوه رؤوسهم كالاغنام فحينما عرض مسلم نفسه عليها أدخلته البيت وقدمت له ما تستطيع، حتى انها حاولت ان تخفي خبره عن ابنها خشية أن يؤخذ من بيتها فيكون ذلك عارا عليها ولما ألح الولد قالت له « يا بني لا تحدثن احدا من الناس مما اخبرك به، واخذت عليه الايمان فحلف فأخبرته فاضطجع وسكت » (١٤٢)٠

ان في هذا المثال صورة تعكس لنا قوة مركز المرأة في

(١٤١) الطبري قسم ٧ ص ٤٨٠ ٠

(١٤٢) الطبري قسم ٧ ص ٢٥٩ ٠

Twitter: @abdulllah1994

تاريخ الدولة العربية وهي تمثل المرأة العربية الحقيقية بأجلى صورها ومظاهرها · ان نساء القطر العراقي بأكمله قد تأثرن لمقتل الحسين رضي الله عنه ، وعبـــرن عــن مواساتهن آل البيت عقب المذبحة ودون ان يحسبن للسلطة حســاب ، ولعل أوفى درجات التعبير عنذلك ما رواه هشام بن محمد الكلبي عن ابي مخنف ، فقد حدثه ابو زهير العبسي عن قره بن قيس التميمي انه قال له « نظرت الى تلك النسوة مررن بحسين واهله وولده وصحن ولطمن على وجوههن ، فما رأيت منظرا من نسوة قط ، كــان احسن من منظر رأيته منهن ذلك والله لهن احسن من مهى يبرين » « ١٤٣ » ·

لقد علقت سكينة بنت الحسين علـــى معاملة يزيد لها لحاشية الحسين : « ما رأيت رجلا كافرا بالله خير من يزيد « ١٤٤ » ، وتتساءل من الذي يستطيع ان ينقد حاكم ولو نقد خفي في عالمنا العربي الان وهو في حدود دولته ، الله وحده يعلم ما ستكون النتيجة ·

وسكينة هذه كـــانت سيدة نساء عصرها ومن اجمل النساء واظرفهن واصفهن اخلاقا واعلمهن في الادب والشعر، وكانت زوجة مصعب بن الزبير الــذي قتلـــه عبــد الملك بن مروان فتزوجت بعده من غيره ·

لقد جاء في العقد الفريد انها زارت هشام بن عبد الملك فبعث الى مشايخ بني اميه فما تذاكروا شيئا من اخبار العرب وايامها الا افاضت معهم « ١٤٥ » ·

ان المرأة العربية اصيلة في موقعها فهي مخلصة تحت

.....

(١٤٣) الطبري قسم ٧ / ٣٧٠ ·
(١٤٤) الطبري قسم ٧ / ٣٨١ ·
(١٤٥) العقد الفريد ج ٣ / ٢٨٣ ·

Twitter: @abdulllah1994

كل الظروف ، نساء الكوفة عندما حوصر المختار على يد مصعب بن الزبير بعد هزيمة قواته كان موقفهن مشرفا للغاية ، يقول أبو مخنف « كانت المرأة تخرج من منزلها ، معها الطعام واللفف والماء ، قد التحفت عليه ، كأنما تريد المسجد الاعظم للصلاة كأنها تزور أهلها وتزور ذات قرابة لها، فاذا دنت من القصر فتح لها » (١٤٦) ٠

ومما يجدر ذكره هنا ان العلاقات الانسانية كانت موجودة ولو في أحكم ساعات العداء ، ولنا على ذلك مثل أول امرأة عربية قطعت نهر جيحون في حركة الفتح الاسلامي في أواسط آسيا وهي امرأة سلم بن زياد ، أم محمد ابنة عبدالله بن عثمان بن ابي العاص الثقفي وانها ولدت له ولدا أسماه الصغدي لانها وضعته في بلاد الصغد وان أمه ارسلت الى امرأة صاحب الصغد تستعير منها حليا ، فبعثت اليها بتاجها ، وعادت الى خراسان تحمل المولود والتاج معا (١٤٧) ، ان المرأة في عهد الدولة العربية كانت معتدة بكرامتها طالما هي بعيدة عن تيارات المدينة ، وأكثر حرية وكرامة من سيدات الطبقة الراقية في قصور دمشق ولا عجب أن تحن ساكنة المدينة الى حياة البادية ومثلنا في ذلك ان معاوية سمع ذات يوم صوتا حزينا ينبعث من مخدع زوجته ميسون يردد الابيات الآتية :

ولبس عباءة وتقر عيني ... أحب الي من لبس الشفوف
وأكل كسيرة في حجر بيتي ... أحب الي من أكل الرغيف
وفرق من بني عمي ضعيف ... أحب الي من علج عنيف

(١٤٦) الطبري جـ ٢ ص ٧٣٤ ٠
(١٤٧) النظر بهذا الخصوص رواية علي بن محمد المدائني ، الطبري قسم ٧ / ٣٩٢ ـ ٣٩٥ ٠

Twitter: @abdullah1994

وبيت تخفق الارياح فيه أحب الي من قصر منيف

فما كان من معاوية الا أن أخلى سبيلها ، وأعطت ابنة الصحراء ظهرها للبريق والحرير غير نادمة ، وأسرعت لموطئها حيث للمرأة مكانتها واحترامها ، مكانة عالية واحترام زائد لم تعرفه المرأة العربية الشرقية فيما بعد ، الذي لم يكن له نظير الا في الاندلس العربية بل فاقت مكانة المرأة في الاندلس كل هذا (١٤٨) · وليس معنى هذا ان المرأة في المدينة لم تكن كذلك ، ففي ولاية زياد بن ابيه على البصرة ، فيما يروي الطبري كانت المرأة تستطيع ان « تبيت فلا تغلق بابها عليها » (١٤٩) ·

والامر الذي يلفت نظرنا خلال هذه الفترة ، سؤال الخليفة عبد الملك بن مروان لرجل غطفاني ان يصف له احسن النساء فقال : خذها يا أمير المؤمنين ملساء القدمين ، ردماء الكعبين ، ناعمة الساقين ، فخماء الركبتين ، ناهدة القدمين، حمراء الخدين ، كحلاء العينين ، زجاجية الحاجبين ، لمياء الشفتين ، بلجاء الجبين ، شماء العرنين ، غيداء العنق ، مكسرة البطن » ·

هذا قبل ان يعرف العرب نظام الحريم ، الا يعبر هذا الوصف عن مفهوم جديد للمرأة ؟ ألم يغفل القول العربي : المرأة القبيحة الولود ، خير من المرأة الجميلة العقيم ·

أما نظام الحريم فلم يعرفه البلاط الاموي الا في عهد الوليد الثاني الذي أحب ان يتشبه بالبيزنطيين ومعروف ان الوليد الثاني عاش في الفترة التي يمكن ان نسميها فترة

(١٤٨) زيغريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب ٤٧٢، ٧٣:
(١٤٩) تاريخ الرسل والملوك : ٧/٧٧ ·

Twitter: @abdulllah1994

السقوط (١٥٠) ونقف هنا لنعرض الى قول الدكتور صلاح الدين المنجد من ان الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك قد تمتع بالنساء حتى ملهن حيث قال : اتيت النساء حتى ما أبالي أتيت امرأة أم حائطا وتعليقا على ان هذا يعود للنفوذ السياسي والاجتماعي وتعدي على المرأة كانسانة ونكون مصيبين اذا أخذنا بقول الدكتور صادق جلال العظم ان ذلك مجرد فسق لا اكثر (١٥٢) ٠

واخيرا الاحزاب التي اعتدت بقيمة المرأة العربية حزب الخوارج وغالبيتهم من البدو ، فقد عابوا مرة على امرأة منهم خطبت على أحد الموالي بقولهم « فضحتنا » كما يروي ابن ابي الحديد في « شرح نهج البلاغة » ٠

لقد شاركت المرأة الخارجية الرجل في القتال جنبا الى جنب ، ولنا بعض الامثلة على ذلك فقد روى ابو الفرج الاصفهاني في « الاغاني » ان امرأة من الخوارج كانت مع قطري بن الفجاءة تدعى « أم حكيم » كانت اشجع الناس وأجملهم وجها وأحسنهم بالدين تمسكا وخطبها جماعة من الخوارج فردتهم ولم تجبهم ، وفي الحرب كانت تحمل على الناس وشر تحيز :

احمل رأسا قد سئمت حمله وقد مللت دهنه وغسله (١٥٣)

(١٥٠) رأي متز فون كريمر ، سيد امير علي ، مختصر تاريخ العرب ١٨٨ ٠

(١٥١) الحياة الجنسية عند العرب ص ٤٣ ٠

(١٥٢) في الحب والحب العذري (٥٦) ٠

(١٥٣) الاغاني ج ٦ ص ٦ وما يليها ، احمد امين ، فجر الاسلام ، ٢٦٤ ، فلهاوزن الخوارج والشيعة ، حاشية الكتاب ٦٤ ٠

Twitter: @abdullah1994

كما ان عبيد الله بن زياد بلغ به الامر ان قتل بعض النساء منهم ، فقد قتل ابنة عروة بن ادية لان والدها سلقه بقوله له : « افسد آخرته » كما قتل امرأة شديدة الحماسة كانت تخطب خطب نارية تدعى البجاء ويسميها ابن الاثير « البلجاء » حيث قتلها في سوق البصرة (١٥٣) ، ومثلها أم البرذون الصفرية التي قاتلت مع الضحاك بن قيس الشيباني (١٥٤) ومثل أعلى على ذلك زوجة يزيد بن شيب الشيباني غزالة التي حملت لواء القتال بعد زوجها الذي غرق في نهر دجيل فقد قاتلت الحجاج حتى قتلت (١٥٥) ٠

وفي أواخر الدولة الاموية وجد في جيشهم كثير من النسوة اتخذن أسلحة الرجال وقاتلن قتالا مجيدا (١٥٦) ٠

لقد أثر وضع المرأة العربية مع المرأة البيزنطية ، بسبب التماس بين الدولتين لدرجة ان المدونة القانونية « الايكلوغا » التي نشرت زمن ليون الثالث سنة ٧٢٢ م ، أصبح النساء في هذه المدونة ، يتمتعن بحقوق اكثر من قبل اثر دخول العادات الشرقية في الحياة البيزنطية (١٥٧) ٠

٥ ـ المرأة في العهد العباسي :

لقد بزغ في هذا العصر نشاط نساء الطبقة الحاكمة (١٥٨) وكان للمرأة في القصر نفوذ واسع في عهد الهادي

(١٥٣) الخوارج والشيعة ، ص ٦٦ ٠
(١٥٤) الطبري ج ٢ حوادث ١٢٩ هـ ، الخوارج في نهاية الدولة الاموية ، بحث غير مطبوع لعلي امين عثمان ٠
(١٥٥) ابن قتيبه ، المعارف ، ص ١٨١ ، بيروت ١٩٧٠ م٠
(١٥٦) الخوارج والشيعة ١٣١ ٠
(١٥٧) د٠ نبيه عاقل ، الامبراطورية البيزنطية ، ١٤٦ ٠
(١٥٨) حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ج ٢ ص ٤٣٣ ٠

Twitter: @abdullah1994

والمهدي والرشيد مثل الخيزران قاتلة الهادي وموصلة الرشيد الى العرش ٠ وكذا زبيده أم الامين التي كانت امرأة موهوبة وشاعرة ملهمة وكثيرا ما كانت ترسل رسائلها مفرغة بأبيات شعرية الى الرشيد (١٥٩) ٠

لقد كانت المرأة في هذا العصر والعصر الذي يليه امرأتان : ملكة ووصيفة ، تقول نابيا آبوت عن الخيزران وزبيده : « وأحس هارون الرشيد بتأثير هاتين المرأتين في تاريخه وحياته فقد كانت رغبة الخيزران الملحة في السلطان والحكم وظاهرة المعالم في عهدي والده وشقيقه ، أما زبيده فان تأثيرها اللطيف طال بعده الى عهد ولديه الامين والمأمون، ولهذا نرى ان تاريخ هاتين الملكتين قد كشف لنا عن اخلاق ومصاير خمسة من الخلفاء العباسيين (١٦٠) ٠

ويقول وستنفلد عن زبيده :

« انها كانت تسيطر على هارون الرشيد فلا يصدر أمرا الا عن أمرها » ، ان أكثر المؤرخين العرب يؤكدون ذكاءها وكرمها وعلو أخلاقها ، كما يصفون قصرها وحياتها التي كانت آية من آيات الروعة والبذخ والاسراف ، وأحب ان أسجل هنا مقطوعة شعرية لها لفتت نظري ، أرسلتها الى المأمون عقب دخول طاهر بن الحسين بغداد وقتله الامين ، ففي هذه الابيات ما ينم عن أصالة شخصيتها ومدى تأثيرها على الرجال ويدل على الدلال الذي نماه في نفسها :

هارون الرشيد فقد كتبت الى المأمون تقول :ـ

كتبت وعيني تستهل دموعها
اليك ابن عمي مع جفوني ومحجري

---

(١٥٩) مختصر تاريخ العرب ، ص ٣٨١ ٠

(١٦٠) ملكتان في بغداد ، نابيا ابوت، ترجمة عمر ابو النصر ص١٠

Twitter: @abdullah1994

أصبت بأدنى الناس منك قرابة
وما زال عن كبدي فقل تصبري
أتى طاهر لا طهر الله طاهرا
وما طاهرا في فعله بمطهر
فأبرزني مكشوفة الوجه حاسرا
وانهب أموالي واخرب أدوري
يعز على هارون ما قد لقيته
وماناليني من ناقص الخلق أعور
فان كان ما أسدى لامر امرته
صبرت لامر من قدير مقدر

ان هذه الابيات لم تجعل المأمون يتمالك نفسه فقد بكى وقال مستشهدا بقول الامام علي عندما بلغه مقتل عثمان : « والله ما أمرت ولا رضيت » .

من القصر الى المجتمع :

اننا بدأنا نسمع بأسماء النساء منذ عهد الخليفة الثاني المنصور الذي غضب غضبا شديدا حين سمع أن خادما في قصره يضرب للجواري بالطنبور فقام اليه وحطم رأسه(١٦١)، ان بروكلمان يعزو الى هذه السوسة الى المرأة سبب هلاك الاسرة العباسية حيث قال انها نخرت في عرشهم وقوضت أركانه (١٦٢) .

اننا بدأنا نسمع من عهد المهدي ، ان بغداد كانت تأخذ زينتها لحفلات الزواج (١٦٣) ، وان النساء يتزين بملاءة

(١٦١) د. محمد مصطفى هداره ، المأمون : ١٦ .
(١٦٢) تاريخ الشعوب الاسلامية ، د. علي الخربوطلي ، المهدي العباسي ٨٧ .
(١٦٣) د. علي حسني الخربوطلي ، المهدي العباسي ٨٧ .

Twitter: @abdullah1994

فضفاضة مفتوحة عند أسفل العنق ، لتظهر جماله وجمال مجرى ما فوق النهود يحلي ذلك لباس ضيق يلبس عادة في البرد ، وكان للمرأة ملاءة طويلة تغطي جسمها وتقيه التراب وتلف رأسها بمنديل يربط فوق الرقبة ، وهذا ما لم تعهده الدولة العربية الاسلامية ٠

ان العرائس البرجوازيات في العصر العباسي كن يلبسن غطاء للرأس مرصعا بالجواهر ومحلى بسلسلة ذهبية مطعمة بالاحجار الكريمة ويرجع هذا الابتكار الى علية بنت المهدي (١٦٤) ٠

أما نساء الطبقة الوسطى فكن يزين رؤوسهن بحلى مطعمة بالذهب وبعصابة من اللؤلؤ والزمرد ويلبسن الخلاخل في أرجلهن والاساور في معاصمهن ، وزنودهن ، ولم تكن أدوات الزينة والتجميل مجهولة لديهن وواضح انهن أخذن فن صبغ الشفاه والخدود عن نساء فارس اللواتي يبدو انهن كن يستعملنه منذ أقدم العصور (١٦٥) ، ان السئية الكبرى التي اقتضتها ظروف التطور الاجتماعيوتأثيرات الحضارتين البيزنطية والفارسية هو نظام الحريم الذي بدأ في عهد الوليد الثاني وسريعا ما أصبحت عادته تقليدا مقدسا ، وهو أمر غريب على الاسلام ، وكما ذكرنا ، ان الوليد الثاني لجأ الى هذا النظام تقليدا للبيزنطيين ٠

لقد هبت على قصور العباسيين رياح جديدة قدمت من الشمال فغيرت الاوضاع ، لقد دخل نظام الحريم والحجاب الفارسي والبيزنطي الى الديار العربية ، فمن المرأة البيزنطية عرف الغنج والدلال وتضميخ الجسم بمختلف العطور ، ومن

(١٦٤) د٠ حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ج ٢ ص ٣٢١ ٠
(١٦٥) سيد امير علي مختصر تاريخ العرب ص ٣٨٠ ٠

Twitter: @abdulllah1994

الفارسية عرف أحمر الشفاه وتزويقات الخدود ، وأصبح من الفارسيات واليونانيات محظيات للخلفاء وأمهات لاولادهم ٠

وتقول نابيا آبوت في ذلك « وكلما زاد عدد نساء الحريم كلما هانت رغبة الرجل وخفت وضعفت وكان معنى هذا ان ضاق الرجل ذرعا بوحدته وكثرة ما لديه من الحريم ، الى أن يتطلع الى غير ذلك من ألوان اللذة ، فكان ان دخلت بعض العادات الشاذة الى المجتمع العربي ، كما حدث في غيره من المجتمعات ، وقد شارك في هذه العادات كثير من كبـــار الرجال وصغارهم » ٠

وعن التهافت الذي أدى الى الانحلال تقول « وتـوزع الرقيق بين مختلف الطبقات فمن أراد خادما وجده بين الرقيق الشباب ومن أراد خادمة اختـــار منهن حاجته ، ومن كان بحاجة الى جارية فله أن يختار من الموجود ما يشاء ، وكلما عظم جمال الجارية او كانت ممن أخذت بنصيب العلم والغناء كلما زاد ثمنها وعلا سعرها (١٦٦) ٠

والخلاصة ان المرأة باتت سلعة تباع وتشترى ٠

انه برغم ما ذكر فان المرأة العربية كانت في عهد الرشيد تذهب الى القتال على صهوات الجياد وتقود الجيوش (١٦٧) وفي عهد المأمون كانت تناظر الرجل في الثقافة وتشـترك في نظم القصائد مما كان له أبعد الاثر في حياة المجتمع ، لقـد ظلت المرأة العربيـــة حتى خلافـــة المتوكل عاشر الخلفاء العباسيين تنعم بوافر من الحرية ويقول صلاح الدين المنجـد عن هذا الخليفة « انه وطىء اربعة آلاف جارية » ، وكمـا

(١٦٦) ملكتان في بغداد ص ٢٢ ـ ٢٣ ٠
(١٦٧) مختصر تاريخ العرب ص ٣٨١ ٠
(١٦٨) الحياة الجنسية عند العرب ص ٤٣ ٠

Twitter: @abdullah1994

ذكرنا عن هشام بن عبد الملك ، ان ذلك ليس غريب على بعض الحكام فحينما يعتلي سدة الحكم حاكم فاجر ، فانه لا يتورع عن اشباع شهواته على حساب نساء المجتمع ، وهذه في حد ذاتها حوادث فردية لا يمكن ان تتخذ كدليل للحديث عن المرأة وان دل هذا القول على شيء فانما يدل على أن المتوكل « ليس دنجوانا من الطراز الاول ، بل مجرد فاجر فحسب » (١٦٩) ٠

ذلك ان الشهامة القديمة كانت ما تزال حية عند الرجال، ولم يكن الترف البيزنطي والفارسي قد قضى بعد على بساطة الصحراء وحريتها ، وكان الآباء يفخرون بأن يلقبوا بأسماء بناتهم الجميلات كأبي سلمى وأبي ليلى ، كما كان الرجال يخوضون الحروب وهم يهتفون بأسماء اخواتهم أو حبيباتهم، وكانت الفتيات العربيات المثقفات يحدثهن الرجال دونما حرج أو شعور بالاثم ، وكن يستقبلن الضيوف دونما خجل وكن يعرفن قدر أنفسهن فيعاملن من حولهن باحترام وتقدير ٠

ان فصل الجنسين ودخول النظم الغريبة قلل من مكانة المرأة الرفيعة، ان الاسلام لم يأمر بحجب النساء عن المجتمع، ولكنه أمر النساء والرجال بأن لا يسيئوا التصرف بهذه الحرية ٠

ان قصور العباسيين هي التي بدأت تعزل الحريم وتحيطهن بالحضيان على غرار الفرس والبيزنطيين ، وأصبح ذلك تقليدا شائعا في المجتمع وأصبح ينظر الى عدم مغادرة المرأة للمنزل مظهر من مظاهر الابهة والعظمة وهكذا تطور مفهوم هذا السجن على النساء على انه من الدين وعليهن ان يبقين سجينات باسم الدين ٠

(١٦٩) دكتور صادق جلال العظم ، في الحب والحب العذري ص ٥٦

Twitter: @abdullah1994

ان نظام الحريم الذي أخذت تعج به القصور العباسية هو الذي طعن الحقوق التي ضمنها لها الاسلام وهو المسؤول بالتالي عن انتشار الفساد وذيوع الترف .

وكان كلما طال الزمن كلما بهتت صورة المرأة الحقيقية، وهذا الشاعر ابو العلاء المعري الذي عاش بعد منتصف القرن الرابع وحتى نهاية منتصف القرن الخامس الهجري، وهو بلا أدنى شك كوكب وضاء من كواكب الادب النيرة ، لم يخش انتقادات عادات جيله وعقائدهم ونظمهم الاجتماعية والدينية لذلك نقم عليه كثير من أهل الدين وحسبوه كافرا مضللا ، وصف المرأة وصفا قاتما في الابيات التالية وها هو يبدي رأيه في صفاتهن ، وما يلزم لهن فقد قال :

حوارس فتنه اعلام غي لقينك بالاساور معلمات
فلا ترمق بعينك دائمات الى حمامهن مكتمات
فاحفظ الخريدة مثل بعل تكون به من المحرمات
وحمل مغازل النسوان اولى بهن من اليراع مقلمات
وساو لديك اقراب النصارى وعينا من يهود ومسلمات (١٧٠)

ويعلق انيس المقدسي على ذلك بقوله :

« ولقد يكون المعري في نظره الى المرأة شديد التحرج يقتل الوطأة ، ولكنه لم يكن يسبح وحده ، بل هو يعكس لنا المعتقد العام في جيله (١٧١) ، لقد تغير مفهوم تعدد الزوجات في العصر العباسي ، فالتعدد في الجاهلية اقتضته ظروف المعيشة والرغبة في العدد الكبير من الاولاد ، وذلك لتقوية مركز القبيلة ولتوطيد العلاقة بين مختلف القبائل بالمصاهرة

(١٧٠) اللزوميات ١٠ ، ٨٨ ، مصر ١٨٩٥ م.
(١٧١) الدولة العربية وآدابها ص ١٤٣ ط ١١ ، بيروت .

Twitter: @abdullah1994

وان استمرت هذه العادة بظهور الاسلام ، فذلك ولا ريب نتيجة لحركة الفتوح الكبرى ٠

تقول زيغريد هونكه « ان هذه الفكرة اثبتت نجاحا كبيرا ففي معركة نشبت بين الامويين والبربر عندما قدم البيت الاموي ما لا يقل عن عشرة آلاف مقاتل وفي عهد المأمون كان البيت العباسي يزهو بأعضائه الذين بلغوا ثلاثة وثلاثين ألف فرد » (١٧٢) ٠

فتعدد الزوجات هو حاجة ملحة لدولة بني أمية ، التي كانت تحارب بين الصين وفرنسا ، يقابل ذلك نظام الحريم الذي بلغ أوجه فيما بعد في العصر العباسي ، الذي قضى على ما للنساء من حرية ومكانة رفيعة فالشاب الذي كان لا يرى دمشق ولو مرة واحدة لعدة سنينّ ولظروف الفتح كان ينشد احدى الحسنيين اما « النصر واما الشهادة » فهذا الشاب لا يمكن مقارنته بالشاب الذي عاش في بغداد فيما بعد والذي تلهف على الفتيات الخليعات يسلبن منه نقوده وسمعته بابتسامة ماكرة أو متعة رخيصة كما كانت الحالة في حانات الكوفة التي انشأها تجار الرقيق واستوردوا لها الساقطات ودربوهن على ابتزاز أموال الرجال وكرامتهم ان الدين قال « وان لم تعدلوا فواحدة » وطبيعي ان العدل بين أربعة نساء مستحيل فلماذا التعدد وظروف الدولة لا تقتضيه لقد نظر اليه في الدولة العباسية على انه مجرد ترف وبالتالي انحلال وبالتالي عامل قاتل من عوامل سقوط الدولة العباسية انه كلما تعمقنا في طبقات الشعب العربي في التاريخ وضحت الصورة الاصلية وقل تأثير النفوذ البيزنطي ــ الفارسي الذي كان له بعد الاثر على المرأة ومن ثم على الرجل في عهد

(١٧٢) شمس العرب تسطع على الغرب ص ٤٧١ ٠

Twitter: @abdullah1994

العباسيين والذي سلمت منه المرأة في دولة الخلافة ودولة بني أميه ولم تسلم منه الدولة العباسية لان التيارات الحضارية الغريبة نمت وأعطت أكلها في المجتمع العربي في عهدها ٠

وجهتا نظر : ـ عبد الله بن المقفع والجاحظ كاتبان من كبار كتاب العصر العباسي واماما من أئمة العلم والادب تجاهل الكتاب المحدثون اختلاف وجهتا نظريهما الى المرأة فابن المقفع عاش قبل الجاحظ بأكثر من مائة عام وقد سلق المرأة بألسنة حداد قال في النساء :

« وانما النساء اشباه ، وما يتزين في العيون والقلوب من فضل مجهولاتهن على معروفاتهن ، باطل وخدعة بل كثيرا ما يرغب عنه الراغب ما عنده ، أفضل مما تتوق اليه نفسه منهن وانما المرتقب عما في رحلة منهن الى ما في رحـــال الناس ، بل النساء اشبه من الطعام بالطعام » ٠

ان تشبيه ابن المقفع هذا هو صورة من صور المجتمع العربي في القرن الثاني الهجري ، والتي امتـــدت الى أيام الجاحظ فأكدها كتابه الذي اسماه « كتاب النساء » والذي أفرده من بين مؤلفاته للدفاع عن المرأة ٠

ان هذا الكتاب لم يصلنا بكامله ، وانما وصلت الينا قطع ضمنها حسن السندوبي في كتابه الذي سماه رســـائل الجاحظ ونشره عام ١٩٣٥ م ولا ندري ، هل هذا الواصل هو اختيار السندوبي أم إنه وجده كما هو ، فنشره لانه عنونه من « كتابه في النساء » وهو لا يتجاوز ثماني صفحات ، وقـد نصب الجاحظ نفسه في هذا الكتاب نصيرا للمرأة مدافعـا عنها ، مكرما لمزاياها معددا لخصالها ٠

وهو يقـدم في هذا الكتـاب صورا واضحة للمجـتمع العربي في القرن الثالث الهجري ونظـرة هذا المجتمع الى المرأة وقد أورد أدلة شرعية وأخرى عقلية لاثبات صحة مـا

Twitter: @abdullah1994

يقول واختتمه بجملة من جوامع الكلم لخص رأيه في سطور فكأنما آية الآيات في المعنى حيث قال :

ص ٢٧٣ « ونحن وان رأينا فضل الرجال على المرأة في جملة القول في الرجال والنساء أكثر وأظهر ، فليس ينبغي لنا أن نقصر في حقوق المرأة ، وليس ينبغي لمن عظم حقوق الآباء ، أن يصغر حقوق الامهات ، وكذلك الاخوة والاخوات والبنون والبنات وأنا وان كنت أرى ان حق هذا أعظم فان هذه أرحم » ٠

ونرجو هنا ان يكون اختيارنا لوجهتي نظر هذين الكاتبين فائدة قصوى للقارىء الكريم ، والله هو الهادي الى سبيل الرشاد ٠

٦ ـ المرأة الاندلسية :

ان أحسن وضع للمرأة عند العرب في العصور الوسطى كانت تحظى به المرأة العربية ، في الاندلس ، حيث تمتعت المرأة بمكانة عالية في المجتمع برغم وجود نظام الحريم في القصور ، وخرجت نساء الاندلس بنشاطهن الى الحياة العامة سواء في ذلك سيدات المجتمع الراقي أو بنات الطبقة الفقيرة والجاريات فكان منهن الشاعرات والباحثات في العلوم وتلقين العلم تماما كالرجال وسجل تاريخ الاندلس صفحات من المجد للنساء (١٧٣) ٠

أما في الطبقة الحاكمة فلم يكن الخليفة يستعمل نفوذه للسيطرة على النساء كما هو الحال عند هشام بن عبد الملك أو المتوكل كما ذكرنا ، بل ان حكام الاندلس قدروا المرأة حق قدرها دون اعتبار للنفوذ والسلطان ، ذلك ان المرأة كانت

(١٧٣) زيغرد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٥٢٢٠

Twitter: @abdullah1994

لها حريتها وقيمتها الانسانية وأن الحب هو السبيل الوحيد والمشروع الذي انتهجه حكام الاندلس للوصول الى أهدافهم ولنا في قول الامام ابن حزم في هذا المجال خير مثال، لقد قال في طوق الحمامة وهو يتكلم عن الحب وماهيته انه « ليس بمنكر في الديانة ولا بمحظور في الشريعة اذ القلوب بعد الله عز وجل ، وقد أحب من الخلفاء المهديين والائمة الراشدين كثير منهم باندلسنا عبد الرحمن بن معاوية لدعجاء والحكم بن هشام ، وعبد الرحمن بن الحكم وشغفه بطروب ام عبد الله، ابنة اشهر من الشمس ، ومحمد بن عبد الرحمن وأمره مع غزلان ام بنيه عثمان والقاسم ، والحكم المستنصر وافتتانه بصبح أم هشام المؤيد بالله رضي الله عنه (١٧٤) وليس أدل ما ذهبنا اليه ان عبد الرحمن الاوسط حينما غضبت طروب وصعب عليه ترضيها بنى باب بيتها بالبدر وعندما قدم اليها وترجاها ان تفتح الباب ، ففتحته فانهارت البدر وحازت المال (١٧٥) ٠

كما أولع بجواري منهن شفاء وقلم وكانت أديبة راوية للشعر حافظة للاخبار كما كانت حسنة الخط (١٧٦) ٠

وينقل جوستاف لوبون عن كونده ذكره له مرفقا باسمه جاريته وأمينة سره العذبة مزينة ، وفتاة قرطبة الكريمة ، عائشة التي روى ابن حيان عنها انها كانت اجمل بنات عصرها وأعقلهن وأعلمهن ، وكذلك صفية التي كانت شاعرة باهرة الجمال (١٧٧) ٠

(١٧٤) طوق الحمامة ، ص ٥ ٠
(١٧٥) المقري ، نفح الطيب ج ١ ، ص ١٦٤ ـ ص ١٦٥ ٠
(١٧٦) حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ج ٢ ، ص ٤٣٣ ٠
(١٧٧) حضارة العرب ، ص ٤٠٤ ٠

Twitter: @abdullah1994

وعن عهد الحكم الثاني يقول : « أن نساء ذلك الزمن كن محبات للدرس في خدورهن ، وكان الكثير منهن يتميز بدماثتهن ، ومعرفتهن » (١٧٨) ٠

وينقل لنا عن كونده ، قائمة بأسماء من كان بقصر الخليفة من النساء المثقفات ، منهن « لبنى الفتاة الجميلة العالمة بالنحو » والشعر والحساب وسائر العلوم ، والكاتبة البارعة التي كان يعتمد عليها الخليفة في كتابة رسائله الخاصة ٠٠٠ وفاطمة التي تكتب باتقان نادر او تنسخ كتبا للخليفة وتعجب العلماء برسائلها ، وتملك مجموعة كبيرة ثمينة من كتب الفن والعلوم ٠٠٠ وخديجة التي تنظم الابيات الرائعة وتنشدها بصوتها الساحر ، ومريم معلمة بنات الاسر الراقية ، حيث كانت تخرج مدرستها نساء بارعات كثيرات ، وراضية المعروفة بالكوكب السعيد ، التي حررها الخليفة عبد الرحمن ونزل عنها لابنه الحكم ، نابغة عصرها في القريض ووضع القصص الرائعة التي فاحت في الشرق بعد موت الخليفة وكانت محل هتاف العلماء في كل مكان (١٧٩)٠

وفي نهاية الخلافة الاموية في الاندلس نسمع ان احدى الجاريات تغني امام المنصور بن ابي عامر ، وهي تعلم ان الخليفة متيم بحبها ولا تخجل برغم هذا من ان تغني بوزيره وتلاحظ الجارية غضب الخليفة وغيرته عليها ، فترتجل في حبه هو وتنقذ نفسها (١٨٠) ٠

أما آخر الخلفاء الامويين المستكفي فان ابنته ولادة كانت أميرة شاعرة باهرة الجمال خارقة الذكاء سيدة نساء عصرها

.....

(١٧٨) نفسه ، ص ٤٠٤ ٠

(١٧٩) حضارة العرب ، ص ٤٠٤ ٠

(١٨٠) شمس العرب تسطع على الغرب ، زيغرد هونكه . ص ٥٢٢ ٠

Twitter: @abdullah1994

ناصعة المحيا ، زرقاء العينين ، حمراء الشـــعر ، رائعـة الحسن ، فكرها ثاقب ، ورثته عن أجدادها الامويين فقـد سجد عند قدميها الرجال ، ووقع في حبها الشاعر ابن زيدون من أشهر عائلات قرطبة ، وكان غريمه في ذلك أبـو عامـر عبدون ، ونستدل على قدرها من هذا الوصف الذي يصفها به ابن بسام بقوله « وكانت في نساء اهل زمانها واحـــدة أقرانها حضور شاهد ، وحرارة أوابد ، وحسن منظر ومخبر، وحلاوة مورد ومصدر وكان مجلسها بقرطبة منتدى لاحرار المصر وفنائها ملعبا لجياد النظـم والنثـر بعثوا امل الادب الى ضوء عزتها ويتهافت أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها الى سهولة حجابها وكثرة منتابها انخلط ذلك بعلو نساب كرم ، نساب وطهارة اثواب على انها سمح الله لها وتغمد زللها ، اطرحت التحصيل وأوجدت للقول فيها سبيل بقلة مبالاتها ومجاهرتها بلذتها » (١٨١) ٠

وقد قال فيها ابن زيدون بيتان من الشعر ويؤكدان ما يذهب اليه ابن بسام أرسلها لها وهو في سجنه فقد قال :

رأيـت الشمس تطلـــع مـن نقـــاب
وغصـــن البـان يرفـل من وشـــــاح
فلو أستطيـــع طـــرت اليـك شـوقا
وكيـف يطـــير مقصـــوص الجنـاح

أما في عهد الطوائف فتسترعي نظرنا دولة بني عباد في أشبيلية ، فقد كان المعتضد بن عباد شغوفا بالنساء ، وكانت لديه زوجة آية في الجمال حسـناء اثيرة ، الى جانب عـدد

(١٨١) الذخيرة ، القسم الاول ، المجلد الاول ، ص ٣٧٦ ٠
(١٨٢) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٥٦ ٠

Twitter: @abdulllah1994

كبير من الجواري البارعات في الحسن والسحر (١٨٣) ٠

وأما خلفه المعتمد بن عباد فقد أولـــع بحبه لاعتماد الرميكية جـــارية رميك بن الحجاج والتي كان من نتيجتها زواجه لهـــا ٠

وعن قصة هذا الزواج يقول محمد عبد الله عنان « انها قصة تتردد بين التاريخ والاسطورة ، ورواية التاريخ انـه اشتراها من رميك أحد وجهاء اشبيلية وهام بها حبا وتزوجها والرواية الاقـــرب الى الاسطورة ، تلك التي تقول بخروج المعتمد للنزهة مع ابن عمار على نهر الوادي الكبير وخـلال محاورة عجز ابن عمار من اكمال البيت فأكملته الحســـناء فسألها ان كان لها زوج ، فأجابت بالنفي ، ثم دعاها الـــى قصره وتزوجها » (١٨٣) ٠

احيل القارىء في فصتها الى مصدرين هما :

١ ــ المعتمد بن عباد ــ علي أدهم في سلسلة أعلام العـــرب ٠

٢ ــ دول الطوائف ــ محمد بن عبد الله عنان وهو من أنفس الكتاب وأدقها وأوثقها ٠

والقصة جديرة بالقراءة وها أنا ألتقي هنا بأجمل أبيات الشعر التي قالها المعتمد فيها والتي لها بين حيوات الشـعر العربي وجود ، فقد قال في قصيدة وزع على أبياتها احرف اسمهـا :

(١٨٣) محمد عبدالله عنان ، دول الطوائف ص ٦٦ـ٦٧ ، والرواية التي تقرب من الاسطورة نفح الطيب ص ٤٥١ وقد اتكأ على ادهم في كتابه المعتمد بن عباد على قصة لقائهما على الوادي الكبير ٠

Twitter: @abdullah1994

أ : غائبة الشخص عن ناظري وحاضرة في صفيم في الفؤاد
ع : ليك السلام بقد الشجون ودمع الشئون وقدر السهاد
ت : ملكت مني صعب المرام وصادفت ودي سهل القياد
ث : قيمي على العهد ما بيننا ولا تستحيلي لطول العباد
د : سست اسمك الحلو في طيه والفت فيه حروف اعتماد

وقال أيضا يصف له حلما فيها :

اني رأيتك في المنام ضجيعتي وكأن ساعدك الوثير وسادي
وكأنما عانقتني وشكوت ما أشكوه من وجدي وطول سهادي
وكأنني قبلت ثغرك والطلى والوجنتين ونلت منك مرادي
وهواك لولا ان طيفك زائر في القلب لي ما ذقت طعم رقادي ١٨٤

انه في هذا العصر ، عصر دول الطوائف ، تنافس الامراء في اقتناء الفتيات الحسان البارعات في العزف والغناء وبذلوا في ذلك الاموال الطائلة « وكان في قصورهم منهن أسراب وأسراب ولا سيما في قصور بني عباد في أشبيلية وبني ذي النون في طليطلة » (١٨٥) ٠

أما في غرناطة آخر معقل للمسلمين في الاندلس فانها كانت تتوالى فيها مباريات الفروسية وحفلاتها ويبدو فيها الفرسان المسلمون ضروبا رائعة من البراعة والرشاقة ولعل ما يهمنا من هذه الحفلات الشهيرة وهو من أهم ميزاتها هو اختلاط الجنسين ، فكانت نساء غرناطة البارعات في الحسن والاناقة يشهدن هذه الحفلات وغيرها من الحفلات العامة ، سافرات ويسبغن بوجوههن يحلها روعة وسحرا وكن يتمتعن بقسط وافر من الحرية الاجتماعية ٠

(١٨٤) محمد عبدالله عنان ، نهاية الاندلس وتاريخ العرب المنتصرين : ٤٥١ ٠
(١٨٥) محمد عبدالله عنان ، دول الطوائف ص ٤١٩ ٠

Twitter: @abdullah1994

وأخيراً فهذا وصف للمرأة الاندلسية في العصر الذي مالت فيه شمس الاندلس الى الافول ، لابن الخطيب فقد قال:

« وكان نساؤهم يتميزن بالجمال الساحر واعتدال السمن ونعومة الجسم ورشاقة الحركة ونبل الكلام وحسن المحاورة ولكن يندر الطول فيهن وقد بلغن من التفنن في الزينة شأوا بعيدا ، يسوقن في الاصباغ والعطور والتزين فنسيت الحلي » (١٨٦) ٠

اذا كانت الاندلس المكان الذي ودعت فيه المرأة البيت، وفتحت صالوناتها على العطر ، والانس والغناء والكلام ٠٠٠ ولكن خسر العرب الاندلس وبقيت الموشحات ٠٠٠ ومن الاندلس انتقل طراز الصالونات الادبية الى ايطاليا وفرنسا وسائر أوروبا ، فتقص في روسيا ضفيرة الشابة المتزوجة . وتضيف زوجة القيصر فروا جديدا الىملابسها ، ويتزحزح الحجاب بارادة قيصرية ، لكن في اسبانيا تنعم بالمرأة اللعبة المتبرجة التي تنتزع من الكونتات والبارونات حمرة الشفاه والمساحيق وربما الشعر المستعار ٠

٧ ـ المرأة الفاطمية :

ان أئمة هذه الدولة الاول ، كانوا شديدين على النساء نستشف ذلك من قول للخليفة عبيد الله المهدي يوم أتم بناء حاضرته المهدية سنة ٣٠٥ هـ قال « اليوم أمنت على الفاطميات » (١٨٧) يعني بناته ٠

(١٨٦) الاحاطة في اخبار غرناطة جـ ١ ، ص ١٤٠ ـ ١٤١ القاهرة ١٩٥٦ م ، محمد عبد الله عنان ، نهاية الاندلس وتاريخ العرب المنتصرين ص ٤٤٩ ، القاهرة ، ١٩٦٦ م٠

(١٨٧) د٠ محمد جمال الدين السرور، الدولةالفاطمية في مصر ٠٢٧

Twitter: @abdulllah1994

كما حذر المعز لدين الله ، من انحـــلال الدول بسبب النساء ، وها هو يقول الى أتباعه « واقبلوا بعدهـــا على نسائكم ، وألزموا الواحدة التي تكون لكم ولا تشـرهوا الى التكاثر منهن والرغبة فيهن فينغص عيشكم ، وتعود المضـرة عليكم وتنهكوا أبدانكم ، وتذهب قوتكم ، وتضعف نخائركم ، فحسب الرجل الواحد الواحدة ، ونحن محتاجون الى نصرتكم بعقولكم وأبدانكم » (١٨٨) ٠

ومن الجدير بالذكر ان مصر فتحت على يد قائد هذا الخليفة جوهر الصقلي ، ولكن سرعان ما أصبح القصـــر الفاطمي مرتعا للنساء ، خاصة عقب نقله من المغـــرب الى القاهرة ، ففي عهد العـزيز بالله حفل القصر الفاطمي في القاهرة بالجواري ، من مختلف الجنسيات فهذه نوبية وتلـك حبشية والاخرى سودانية او تركستانية وما الى ذلـك من حسن منظرهن ٠

ويصف لنا ناصر خسرو قصر المعز لدين الله عندما زاره سنة ٤٣٨ هـ بأنه قصر شاسع نراه من خارج المدينة كأنه جبلا نظرا لفخامة مبانيه وارتفاعها ، ويستطرد قائلا « ومن الذي يستطيع أن يقول كم كان يضم من النساء والفتيات؟ »٠

لقد كان ذلك بسبب البـذخ والثروة ، فنرى الخليفـة يخصص عددا من الخصيان لخدمة حريم القصـــر ويكفي أن نذكر هنا انه كان لست الملك ابنة الخليفة العزيز أربعة آلاف جارية منهن ١٥٠٠ جاريـــة من الابكار ، والبـــاقي من الثيبات (١٨٩) والى جانب المحظـيات من الجواري كانت

(١٨٨) المقريزي، الخطط جـ ٢ ص ١٦٤، محمد عبدالله عنان، الحاكم بأمر الله ، ص ٢٦١ ٠
(١٨٩) ابو الفدا ، المختصر في البشر ، جـ ١ ص ١٥١ ٠

Twitter: @abdullah1994

هناك الراقصات والمغنيات وكان كلما زاد والد العزيز من الجواري الغريبات في القصر زاد العزيز بالله من جواري الاتراك (١٩٠) ٠

وما أن جاء عصر الحاكم بالله حتى ظهرت نساء المجتمع بكثرة ، واشتد تيار المجون والغواية (١٩١) ، وكان من نتيجة ذلك « أن منع الحاكم النساء من الخروج ليلا منذ العشاء ، لكي تخف عوامل الفتنة والغواية ، كما عوقبت المخالفات بشدة ٠

كما حرم على النساء ان يكشفن عن وجوههن في الطريق وخلف الجنائز وحرم عليهن التزين والتبرج ، كما حرم العويل والبكاء والصياح وراء الموتى ، وكان عقاب المخالف الجلد والتشهير والاعدام (١٩٢) ، كما منعن من الغناء والنشيد وهوجمت اماكن البغاء بشدة وازيلت وطهرت احياء المدينة من مثل هذه المؤسسات الفاسدة ، لقد حرم عليهن الحاكم بأمر الله زيارة القبور فلم تر بالمقابر في الاعياد امرأة واحدة، ومنعهن من الاجتماع في المآتم ، والسير وراء الجنائز والاستحمام في الحمامات العامة ومنع الاجتماع على شاطىء النيل للتفرج وركوب النساء مع الرجال ، وخروجهن الى مواضع الفرجة مع الرجال ٠

وللحاكم مع النساء قصة شهيرة ذلك ان هذه الاوامر الجريئة كن يقبلنها على مضض وكن في انتظار الغائها او التخفيف منها ، بيد ان الامور كانت تتجه الى التشدد في

(١٩٠) د٠ عطيه الشرفه، نظم الحكم بمصر في عهد الفاطميين ص٨٠
(١٩١) المقريزي ، الخطط جـ ٢ ، ص ١٧٦ ٠
(١٩٢) محمد عبدالله عنان ، الحاكم بامر الله واسرار الدعوة الفاطمية ص ١٢٩ ٠

Twitter: @abdullah1994

معاملتهن والقضاء التام على حريتهن ، ففي سنة ٤٠٤ هـ ـ ١٠١٤ م ذهب الحاكم في معاملة النساء الى ذروة القسوة والشدة فأصدر مرسومه الشهير بمنعهن من مغادرة دورهن والخروج الى الطرقات بالليل والنهار ويستوي على ذلك ان تكون المرأة شابة او عجوزا ، فاحتبسن في ظلام دورهن ولم تر امرأة في الطريق ، ولم يستثن من ذلك سوى النساء المتظلمات للشرع والخارجات الى الحج او المسافرات التي تضطرهن ظروف قاهرة للسفر والاماء اللاتي برسم البيع، والقابلات وغاسلات الموتى والارامل اللاتي يبعن الغزل، وان يكون خروج هؤلاء لمزاولة شؤونهن برقاع خاصة ، ترفع الى القصر وتصدر بها تصاريح ، يقوم بتنفيذها مدير الشرطة ٠

انه حتى الاساكفة منعوا من عمل اخفاف لهن ، وهكذا اختفت المرأة من المجتمع المصري وساد الانقباض والوحشة وأغلقت المتاجر التي تبيع السلع النسوية ، وساد الذعر بين النساء ولزمن دورهن في روعة وخشوع ، يقول المقريزي مشيرا الى عيد الفطر سنة ٤٠٤ هـ « ولا رؤيت امرأة ولا بيع شيء مما عادته يباع في الاعياد من اللعب والتماثيل » ٠

ان النساء حاولن التظلم من هذا القرار، وذهب الكثير منهن الى القصر داعيات متظلمات، فلم يفزن بطائل، وعوقب كثير من النساء المخالفات بالضرب والحبس وعوقب بعضهن بالموت ٠

لقد ذهب الحاكم بالتشدد في سنة ٤٠٥ هـ ، بمنعهن من التطلع من النوافذ والطيقان شبابهن وعجائزهن ٠

واشتد بهن الامر بنساء لكافة اللاتي ليس لهن من يقوم بهن ، واستغثن بأولي الامر ، فأمر الباعة بأن يحملوا السلع والاطعمة وكل ما يباع في الاسواق الى الدروب ، يبيعونه للنساء في منازلهن ، وان يحمل الباعة أداة كالمغرفة لها ساق

Twitter: @abdullah1994

طويل يمد الى المرأة وهي من وراء الباب، وتضع مكانه الثمن ولا يسمح لها مطلقا ان تبدو من وراء الباب (١٩٣) ٠

لقد عانت النساء من هذه الشدة سبعة أعوام حتى وفاة الحاكم ، وكان هذا حادثا مروعا منقطع النظير ، لم يحدث قط في اي عصر من عصور التاريخ ان عانى النساء مثل هذه المحنة القاسية وسلبن من الحرية على هذا النحو الشامل (١٩٤) ٠

مناقشة : يناقش محمد عبدالله عنان في كتابه « الحاكم بأمر الله واسرار الدعوة الفاطمية » ص ١٣٢ ، أسباب مطاردة الحاكم بأمر الله للمرأة ، والحجر عليها حيث يقول:

« لا ريب ان الحاكم كان يذهب في ذلك الى ذروة الغلو والاغراق ، ولكن المرأة من أشد عوامل الفتنة والغواية ، ولا سيما في عصور الفساد والانحلال ، وقد شهد الحاكم بنفسه اثناء طوافه الليلي كثيرا من ضروب التهتك والخلاعة التي كانت تغرق فيها نساء العصر ونقلت اليه على يد رسله وعيونه أقوال ونوادر كثيرة عن خبثهن وافتنانهن في أساليب الفساد والغواية ، وقد رأى الحاكم في الحجر على المرأة ، والمباعدة بينها وبين الرجل في الحياة المدنية ، وسيلة لمكافحة الرذيلة وحماية الاخلاق الفاضلة ٠

اما الاغراق في تطبيق التجربة ، فهو ولا ريب اثر من

(١٩٣) محمد عبدالله عنان ، الحاكم بامر الله الفاطمي واسرار الدعوة الفاطمية ، ص ١٣٥ ٠

(١٩٤) محمد عبدالله عنان ، ابن سعيد الانطاكي المذيل ، ص ٢٠٨، ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٢ ، ص ٦٧ ، المقريزي المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ج ٣ ص ٧٣ ، اتعاظ الخنفاء لوحة ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ابن الاثير ج ٦ ص ١٠٩ ٠

Twitter: @abdullah1994

اغراق هذا الذهن الهائم في كل ما يعتقد ويتفكر ، واذا قلنا نستطيع ان نعلل فكـــرة الحجر على المـرأة وابعادها عـن المجتمعات المدنية فمن الصعب علينا ان نفهم ذلك الاغراق في تطبيقها الى حدود القسوة الذريعة ٠

بيد انه ليس من الانصاف ان ننكر على الاجـراء كل حكمة، فمن المحقق انه ذا اثر كبير في درء الفساد الشـامل وتنقية حياة المدنية ، ولقد شهد عصرنا بعض الامم العظيمة، فكرة مماثلة من الحد من حريات المرأة الاجتماعية وردها الى حظيرة الاسرة مع فرق في العصر والظروف ، فلقد رأينا ان ايطاليا الفاشستية والمانيـا الهتـلرية كيف ضيق على المرأة وفقدت كثيرا من حرياتها المأثورة ، ثم رأينا كيف حرمت من ضروب اللهو الخليع ومنعت الحانات الليلية والملاهي العارية، ولا ريب ان هذه الفكرة أملت على الحاكم خطته وأملت في عصرنا على هذه الدول العريقة المحدثة خطتها نحو المـرأة، وترجع في جوهرها الى أصل واحد ، وهو مكافحة عـوامل الغواية والفساد التي يبثها تهتك المجتمع النسوي ، وامعانه في صنوف الاستهتار والخلاعة (١٩٥) ٠

المرأة عند الدروز :

بقيت عقائد الدروز مخفية حتى غزا ابراهيم باشا منذ قرابة قرن وثلث القرن مناطقهم الجبلية ، ووقع الغزاة على بعض كتبهم المقدسة ، وعرفت محتوياتها ، وممـا عرف عن النساء عندهم انهـن يقسمن الى طبقـة العـاقلات وطبقـة الجاهلات والزواج عندهم يجري طبقا للرسوم المعروفة لدى المسلمين من الخطبة والمهر ولا يجوز التزوج من واحدة ، ما

(١٩٥) الحاكم بامر الله واسرار الدعوة الفاطمية ، ص ١٧٢ ٠

Twitter: @abdullah1994

لم تطلق الاولى ، والطلاق عندهم سهل ميسور ، ولا تر المطلقة بأي وجه ، ولو بعد زواجها من آخر ٠

وتحرص المرأة عندهم على الحجاب، ولا تسفر عن وجهها الا عينا واحدة ، تبصر بها ، ويشتد استنفارها من المطلق والخاطب ، والزنا عندهم جريمة لا تغتفر وتسقط مرتكبها الى الابد ٠ والمرأة عندهم لا ترث عن ابيها شيئا (١٩٦)٠

٨ ـ المرأة في الدولتين الاتابكية والايوبية والمرأة عند سقوط الدولة العباسية :

ان المرأة في الدولتان الاتابكية والايوبية، كان يضاف الى اسمها ألقاب على جانب من التكريم والتفخيم مثل «عصمة الملك خاتون » و « عصمة الدين خاتون » ٠

يقول ابن جبير في وصف ابنة الامير مسعود الاتابكي وهي في الحج «فنزلت تحت ملحفة مبسوطة عليها، ومشت الى أن سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم، والخول أمامها، والخدم يرفعون اصواتهم بالدعاء اليها اشادة بذكرها (١٩٧).

وهذا المجاهد الكبير صلاح الدين يوسف بن ايوب ما ان رأى امرأة صليبيـــة تبكي حرقة وتدق على صدرها دقا متوصلا حتى هاله هذا المشهد الدراماتيكي، فرق لها ودمعت عينه ، وحركته المروءة ، وأمر من ذهب الى سوق العسكر ، ويسأل عن الصغيرة من اشتراها ويدفع له ثمنها ويحضرها، ولم تمض ساعة حتى احضروا الطفلة الصغيرة فجرت الام طفلتها لرؤيتها ، واخذت تعفر وجهها في التراب ، والنـاس

(١٩٦) محمد عبد الله عنان ، الحـــاكم بامر الله واسرار الدعـوة الفاطمية ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ٠ عالثانية ، ١١٥٩ م ص ٣١٨ ص ٣١٩ ٠

(١٩٧) رحلة ابن جبير ، ص ١٥٨ ٠

Twitter: @abdullah1994

يبكون على ما نالها ، وهي ترفع طرفها الى السماء ولا تعلم ما تقول فسلمت ابنتها اليها ، وحملت حتى اعيدت الى معسكرهم ... اي الصليبيون (١٩٨) .

فاذا كانت هذه معاملة نساء الاعداء ، فكيف ستكون معاملة المرأة العربية المسلمة انذاك ؟

وأترك للقارىء العزيز مقارنة ذلك ، واجرام الصليبيين يوم فتحوا القدس في ٧ حزيران سنة ١٠٩٨ م ، وهتكوا الاعراض وقتلوا جميع سكانها ، وهذا جوستاف لوبون أحد المؤرخين الغربيين يقول :

انهم لم يستثنوا من القتل امرأة ولا ولدا ولا شيخا(١٩٩)

وقد اعتبرت Z. Oldenbourg هذه المذبحة في القدس ، بأنها من اكبر الجرائم في التاريخ (٢٠٠) ان ابن العبري يقول « لبث الفرنج في البلد اسبوعا يقتلون فيه المسلمين وقتل بالمسجد الاقصى ما يزيد على سبعين ألفا » (٢٠١) .

ان الموقفين المذكورين ، موقف صلاح الدين من المرأة الصليبية ، وموقف الصليبيين من المرأة العربية ، صلاح الدين الانسان يبعث من يبحث عن الطفلة ليعيدها الى أمها ، وقتل الصليبيين لنساء المسلمين وأطفالهم بوحشية ، كما ان صلاح الدين نفسه يوم فتح القدس سنة ١١٨٧ م ولم يمر على جرائم الصليبيين فيها تسعين عاما ، نجده يسمح حتى لنساء ملوكهم بالخروج معززات مكرمات مثل ماريا كومنين ، زوجة باليان دي ايلين التي وفر لها الحراسة حتى طرابلس .

(١٩٨) الناصر صلاح الدين ، د. سعيد عاشور ، ص ٢٩٣ .
(١٩٩) حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ص ٣٢٥ .
(٢٠٠) The Crusades, N. Y. 1967, p. 161.
(٢٠١) مختصر تاريخ الدول ، ١٩٧ .

Twitter: @abdullah1994

انه الى جانب ذلك سمح للنساء والاطـــفال بالخروج آمنين كما عامل نساءهم معاملة جيدة ، فكانت المرأة تخرج وهي تحمل اموالها وأتباعها وحشمها ، وعندما طلبت زوجة الملك جان لوزجنان من صلاح الدين السماح لها بالاقامة مع زوجها الاسير في نابلس ، لم يتردد في قبول طلبها كما سمح لامرأة الفارس اللص ، رينو دي شاتيون بالخروج مطلقا معها سراح ابنها من زوجها الاول ٠

ان صلاح الدين بعد المعركة الفاصلة على أرض حطين بيوم واحد ، عامل نساءهم خير معاملة ، فقد أخرج الاميرة أشيفا من حصنها بأمان ، ووفى لها وللفرسان بشروط الامان فخرجت بمالها ورجالها ونسائها، وسارت الى بلد زوجهـا الكونت ريموند الثالث بمالها وحالها (٢٠٢) ٠

ولا بد لنا الآن من مقارنة ما ذكر ، بما تتباهى به المراجع الصليبية ، من تصدير صفحات كتبها ، بأن الفارس اللص دينو دي شاتيون الذي كان يتخذ من الكرك وكرا له ، تمكن قبيل حطين من الاستيلاء على قافلة للمسلمين قادمة من مصر ضاربا بكل المعاهدات عرض الحائط ، فهذه المصادر لا تألو جهدا من التركيز على هذه القافلة وانه كان من بين أسرى رينو أخت صلاح الدين ، ونقل هذا الرأي الخاطىء كثير من الكتاب الذين عالجوا تاريخ الحركة الصليبية ، وحقيقة لو كانت اخت صلاح الدين قد أسرت لاشار الى ذلك المؤرخون المسلمون مثل ابن شداد وأبي شامة وابن الاثير ، ولذلـك نستطيع ان نقطع بخطأ هذا الرأي وبعده عن الحقيقة والتاريخ ويتضح مما ذكره ابو شامة ان اخت صلاح الدين قدمت في

(٢٠٢) ابو شامة ، كتاب الروضتين ج ٢ ، ص ٧٩ ٠

Twitter: @abdullah1994

قافلة أخرى ، قادمة من مكة وانها وصلت دمشق سالمة في صيف سنة ١١٨٧ م ٠

ونحب أن نطرح أمام من يفخر بهذه الحادثة اللااخلاقية التي لم تقع بتاتا ، أن ينظر الى الجانب الآخر ، ومعاملته الحسنة بدلا من النظر الى أعمال لص متشرد ، كانت أعماله خسيسة ، مجردة حتى من أبسط قواعد الاخلاق ، ونحب أن نقول لهم ان النساء الصليبيات أنفسهن اعجبن بصلاح الدين مثل ذلك الاعجاب الذي وصل عنده الاميرة سيبيل ، زوجة بيهموند الثالث أمير انطاكية ، انها أخذت تطلعه على أسرار الفرنج ، كما كان هو نفسه يقدم لها الهدايا (٢٠٣) ، كما أطلق سراح اختها عندما استولى على قلعة برزية ، اكراما لها فشكرته هي بدورها ودامت مودتها له ٠

هذه هي المرأة عند المسلمين والصليبيين في آن واحد، ولم يكن الصليبيون وحدهم مجرمين في حق المرأة فان ما وصلت اليه المرأة في عهد الدولة العباسية في فترة السقوط ، أمر محزن للغاية فبانهيار هذه الدولة سنة ١٢٥٦ م ، انهار كل حق للمرأة ، فقد طبق قانون الغزاة الذي يعاملون به المرأة العربية المسلمة ، فانه كان ضمن دستور المغول « اليساق » بأنه يسمح للمغولي أن يشتري اي زوجة يريدها، وأن يتزوج من أختين في وقت واحد وأن يملك ما شاء من المحظيات (٢٠٤) وذلك ما بليت به المرأة العربية المسلمة ، بكل قسوة لا تقل عن تلك القسوة التي أحالوا بها بغداد الى مدينة أموات ، بعد أن كانت بؤرة الحضارة ولؤلؤة الدنيا ٠

(٢٠٣) ابو شامه ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ص ١٣١ ، ابن الاثير حوادث ٥٨٤هـ ٠

(٢٠٤) التاريخ الموحد للامة العربية، د٠ علي‌حسني الخربوطلي ١٠٨

Twitter: @abdullah1994

٩ ـ المرأة في الدولة المملوكية :

الدولة المملوكية كانت تقسم الى طبقة الحكام أي المماليك وعامة الناس وعليه فسنتعرض للحديث عن المـــرأة في كل منها على حدة ، ان الاقدار قد شاءت للدولة المملوكية منـذ البداية ان تستبد بها امرأة ، وهي شجرة الدر التي سيطرت على المعز ايبك ومنعته من الاجتماع بأم ابنـــه علي وألزمتـــه بطلاقها ، حيث عزم هو على قتلها بعد أن أخبره أحد المنجمين « بأن سبب قتله ستكون امرأة » (٢٠٥) فانتهت حياته على أيدي خدمها ضربا بالقباقيب ٠

وفي ذروة العصر المملوكي ، وفي عهد الظاهر بيبرس، في حصار أرسوف في فلسطين ، لم تكتف الصـــالحات في سقاية المـــــاء وسط القتـــال ، بل كن يعملـــن في جر المنجنيقات (٢٠٦) ٠

كما ان هذه المرأة لها صورة اخرى في الحفلات، ففي احدى الحفلات في عهد قلاوون ، كاد ابنه علي يموت غما من جمال وحسن احدى المدعوات عندما عرف انها متزوجة(٢٠٧)

ان امرأة طبقة المماليك في ذلك العصر كانت تعـرف للحرب وقته ، وللجمال والتطيب وقته ، والمرأة المحاربـة هي نفس العروس الفاتنة الجميلة ساعة الانس، ونأتي الى الحديث عن المرأة عند عامة الناس فأول ما يمكن قوله ، انهم لـــم يكونوا أقل احتراما لنسائهم من المماليك ، وخير ما يشير الى ذلك تلك الالقاب التي أطلقها الناس على نسائهم وبناتهم ، مثل « ست الخلق » و « ست الحكـــام » و « ست الناس »

(٢٠٥) المقريزي ، السلوك ج ١ ، ص ٤٠١ ـ ص ٤٠٢ ٠
(٢٠٦) د٠ سعيد عاشور ، الظاهر بيبرس ، ٦٤ ٠
(٢٠٧) د٠ محمد عبد العزيز مرزوق، الناصر بن محمد قلاوون ص٨٣

Twitter: @abdullah1994

و « ست الكل » وذلك من باب الفخر والتزكية والثنـــاء والتعظيم ، فاذا خرجت احدى النساء الى الطريق ، وكان زوجها مقتدرا فانه يحضر لها حمارا يقوده مكاري ويتبعهـا خادم (٢٠٨) ٠

لقد استطاعت المرأة ان تقوم بدور ملحوظ في الحياة العامة ذلك ان المرأة في ذلك العصر ، تمكنت من المشاركة في الحياتين العلمية والعملية ، حتى ان التاريخ يسجل أسماء كثيرات اشتغلن بالنحو ، ونظمن الشعر وتخصصن في الفقه والحديـــث (٢٠٩) ٠

ان نشاط النساء في شوارع القاهرة وأسواقهـــــا ومنتزهاتها كان عظيما في ذلك العصر ، فكانت المرأة تباشر معظم أمور الشراء من الاسواق ، بل صـــار من المألوف أن تشتري المرأة لزوجها ما يحتاج اليه لنفسه من بعض الملابس، فاذا لم تكن لهن حاجة في الســـوق ، فانهـن يذهبن الى الحمامات العامة الخاصة بالنساء ، وكثيرا ما خرجت النساء الى القرافات والبرك وشاطىء النيل وغيرها من أماكن اللهو والفرجة ، الامر الذي اثار رجال الدين فنادوا بمنع النساء من الخروج على ذلك الوجه ، ولم تضن المرأة المملوكية على نفسها في ذلك العصر بالملابس الفاخرة والزينة طيلة حيـاة الدولة المملوكية ٠

١٠ ـ المرأة والغناء في أزهى عصور الاسلام :

ان نساء القبائل في الجاهلية كن يشتركن في موسيقى الاعيان العائلية أو القبلية بآلاتهن ، تلك العادة التي استمرت

(٢٠٨) مؤلف مجهول ، سيرة الظاهر بيبرس ج ٧ ، ص ٢٦ ٠
(٢٠٩) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ٣٩٥ ٠

Twitter: @abdullah1994

الى عهد الرسول صلوات الله عليه وسلامه ، فقد أحتفل بزواجه بخديجة بالافراح والاعياد والموسيقى والرقص ، ان الفن الذي تفوقت فيه المرأة في الجاهلية كان المرثية والنواح (٢١٠) ، لقد وجد عند العرب في الجاهلية ، طبقة معروفة بالقينات ، وكن المغنيات اللائي يوجدن دائما في منزل كل عربي ذي مكانة اجتماعية ، ولنا من هؤلاء القينات اللائي جئن مع المكيون الى بدر حيث كن يعزفن على الآلات ويطلن ألسنتهن بهجاء المؤمنين ٠

اذ ذكر هؤلاء القينات يرد عن وجودهن عند جبله بن الابهم الغساني « ٦٢٣ ـ ٦٣٧ » وفي الحيرة والبلاط الفارسي والبدو أيضا ، كما وجدن في الحانات لتسلية الزائرين ، ويتغنى الاعشى ميمون بن قيس بقهوة ألحانه المرة ، وكذلك طرفة ولبيد وعبد المسيح بن عسلة بقينه ألحانه ، ويرى «ليل» انهن جميعهن « أجنبيات فارسيات او اغريقيات من سوريا »، ولكنهن على كل حال غنين قصائد عربية في بعض الاحيان٠٠ اما فون كريمر فينفي غنائهن بالعربية ويقول « ان ذلك كان بالاغريقية او الفارسية » في حين ان فارمر يقول « وليس من الحق ان جميع القيان كن أجنبيات اللهم الا اذا كذبنا كتاب الاغاني الكبير وشعراء الجاهلية الذين يتكلمون يقينا ، عن فتيات عربيات يتغنين بلسانهن العربي (٢١١) ٠

أما في الاسلام ، فان الاسلام لم يحظر الغناء على المرأة ، فمما يذكر انه دخل خمر على بيت الرسول صلى الله عليه وسلم وجارية تغني لعائشة ، فلما عرفت الجارية بمقدمه هربت ، فدخل عمر والنبي يبتسم فقال له عمر : اضحك الله

---

(٢١٠) الفضليات ج٢ ، ص ٢١٥ ، الاغاني ج ١٩ ، ص ٨٧ ٠

(٢١١) تاريخ الموسيقى العربية ص ٢٢ ، الاغاني ج ٩ ، ١٦٤ ٠

Twitter: @abdullah1994

سنك يا رسول الله ، فلما أجابه الرسول عن سبب ضحكه ، قال : لن أرحل حتى أسمعها ، فاستدعاها الرسول فأخذت تغني وهو يسمعها ٠

أما في العصر الاموي فقد اشتهرت أربع قينات وهن : جميلة وسلامة القس وسلامة الزرقاء وحبابة ، وقد ذاع صيت مدائح جميلة ، وتردد على حفلاتها كثير من الموسيقيين الذين نالوا الشـــهرة ٠

وقد ازدهرت جميلة في النصف الاول من العصـــر الاموي ، يقول معبد « أصل الغناء جميلة وفرعها نحن » ٠

أما سلامة القس قينة أحد القرشيين الشـرفاء من بني زهرة يدعى سهيل ، فقد ظلت في البلاط في عهد كثيرين من الخلفـــاء (٢١١) ٠

وكانت من معشوقات الخليفة يزيد الثاني حتى اعتلى الخلافة ، وتحول حبه لقينة اخرى تدعى حبابة التي بقيـت رفيقته الدائمة حتى توفيت سنة ٧٢٤ م فاستولى عليه الحزن، وتعلق مدة طويلة بجسدها الميت ، ولم يرفع رأسه ثانية حتى توفي في اسبوع من وفاتها ٠

أما سلامة الزرقاء تلميذة جميلة ، فقد عاشت في بلاط يزيد الاول ٦٨٠ـ٦٨٣ م وأهديت للشاعر الاخوص الذي وقع في غرامها ، وكانت ذات جمال بارع تقلبت بين ايدي السادة الكثيرين ، حتى وصلت بلاط يزيد الثاني (٢١٣) ، كما حصلت شقيقتها ريا على بعض الشهرة أيضا (٢١٤) ٠

(٢١٢) الاغاني ج ٣ ، ص ١١٥ ، ص ١١٧ ، المسعودي ج ٥ ص٤٤٦
(٢١٣) الاغاني ، ج ٨ ، ص ٨٩ ـ ص ٩٠ ٠
(٣١٤) الاغاني

Twitter: @abdullah1994

أما في العصر العباسي ، فقد كانت القينة عبدة ، تعتق حين تخطف او تلد (٢١٥) ، وكن يتعلمن على كبار الفنانين، وكانت الى جانب كونها مغنية ، مثقفة أيضا ٠

وفي عهد هارون الرشيد ، بدأت جوقات كثيرة من القيان يضربن على الاعواد (٢١٦) ٠

عصر القينات ٠٠٠ عصر الجنس :

نقصد هنا العصر العباسي الذي كان خصبا في كل شيء حيث تدفقت الجواري على بغداد من كل جانب من الارض واحتلت صنعة القيانة مكانة مهمة لكثرة الراغبين في القيان ، وكانوا يتعهدوهن بالعناية والثقيف والتجميل، يعلمون بعضهن الغناء ، او يحفظوهن الادب والشعر ، وكانت القينة تعرف كل ما يحبب بها الرجل ، وكل ما يثير شهوته ، كانت تعيش على حد قول الجاحظ على « ذكر الزنا والقيادة والعشق والصبوة والشوق والغلمة » ، ونحن على حد قول د٠ طه حسين « خليعات مبتذلات ، سلاحهن الاغراء والفتنة والخلاعة يسرفن في المجون ، ويتملقن به لذة الرجال وشهواتهم ، وقد كثرن كثرة فاحشة ، وأثرن في الرجال ، فتهالكوا على اللذات واستبقوا الى الشهوات ، وأباحوا لانفسهم معهن من ضروب اللذات انواعا منوعة ، وكانت براعتهن في الامور الجنسية مدعاة لشرائهن ، وهكذا كن القينات سببا في ان يطلق البعض على هذا العصر اسم عصر الجنس (*) ٠

(٢١٥) الاغاني ، ج ٣ / ٢٦٢ م٠
(٢١٦) تاريخ الموسيقى العربية ، ص ١٣٠ ٠
(*) انظر ، صلاح الدين المنجد ، الحياة الجنسية عند العرب ، بيروت ١٩٥٨م ، ص ٤٥ وما بعدها ٠

Twitter: @abdullah1994

ومن آثار القينات في هذا العصر ، انهن أدخلن العناية بالجسم والشعر ، وازدهر التجميل الصناعي ازدهارا واسعا وكانت القيان الارستقراطيات قينات الخلفاء والوزراء والطبقة الموسرة نموذجا يقلدن في الملابس والازيـاء ، حتى استطاع بعضهن بقوة غوايتهن وجمالهن ان ينفذن الى تصريف امور الدولة ، اما القينات الشعبيات فكن يبعن اللذة ، ويغنين في مجالس الغناء او في الحانات ، وها نحن نقـدم اروعهن وخاصة الارستقراطيات ، مما حفظه لنا كتاب الاغاني عنهن٠

أروع المغنيـات « القينـات » :

١ ـ **عريب** : المتوفاة سنة ٨٤١ م :

كانت مغنية ذات حياة جد غريبة ، تلقي لنا الاضـواء على حياة العصر الاجتماعية ، وقد كسبت شهرة كبيـرة لجمالها وموسيقاها ٠ وكانت نهايـة في المعرفة النغم وليس في النساء الحجازيات القديمات نظير لها ٠

قال اسحق الموصلي : ما رأيت أجذب من عريب ولا أحسن صنعا ووجها ، ولا أخف روحا ، ويقال انها حفظت واحد وعشرون ألف لحن ٠

وكان سيدها الاول عبد الله بن اسماعيل قائد البحرية في عهد هارون الرشيد ولكنها هربت مع عشيق الى بغداد ، ثم اكتشفت وأعيدت الى سيدها ٠ ثم حصـل عليهـا الامين، ٨٠٩ـ٨١٣ فلما قتل على يد قائد المأمون طاهر بن الحسـين عادت الى سيدها القديم ، ثم هربت ثانية مع عشيق تزوجها ثم امتلكها المأمون ٨١٣ـ٨٣٣ واحتلت مكانة عاليـة بين موسيقى البلاط ، ثم بقيت حتى عهد المعتصم ، وتوفيت عام ٨٤١ م ، وقد أمر المعتمد ٨٧٠ـ٨٩٢ م بجمع اغانيها (٢١٧)٠

(٢١٧) الاغاني ص ١٧٥ ـ ص ١٩١ ، نهاية الارب ج ٥ ، ص ٣ ٠

Twitter: @abdullah1994

٢ ـ **عبيدة الطنبورية** : قال اسحق الموصلي « الطنبور اذا تجاوز عبيدة هذيان » ، وقال جحظة البرمكي « كانت من المحسنات وكانت لها صنعة عجيبة » ، تلقت دروسها الاولى على يد الزبيدي في منزل أبيها ، وبعد وفاة والدها احترفت الغناء ، ثم امتلكها شخص أنجبت له بنتا ، ثم طلقها فامتلكها حمزة بن مالك ، وكان مغنيا مجيدا ، ثم توفيت فامتلكها جحظة البرمكي طنبورها ، وكان مكتوبا تحت عنقه : « كل شيء سوى الخيانة في الحب يحتمل » ويبدو ان عبيدة لم تخلص لغير فنها (٢١٨) ٠

٣ ـ **شادية البصرة** : أمها من بني زهرة من قريش، رغم أصلها الرفيع عرضت ابنتها للبيع ، فاشتراها ابراهيم المهدي وممن علمنها الغناء القينة ريق ثم أهداها لابنته ميمونة ثم اعتقها الامير فيما بعد وتزوجها ، واعترض عليه المعتصم ، فقال للمعتصم « انها قرشية » ٠

ولما توفي زوجها دخلت حريم المعتصم ، ومن أبرع تلاميذها فريدة (٢١٩) ٠

٤ ـ **بذل مغنية المدينة** : ازدهرت في بلاط الامين حتى المعتصم ٨٠٩ ـ ٨٤٢ م ، وكانت أول أمرها ملكا لجعفر بن الهادي ، ولما طلب الامين أن يبيعه اياها قال له « ان مثلي لا يبيع جارية » ولكن الامين حازها في النهاية ومن استاذها فليح بن ابي العوراء ، وكانت فنانة كاملة ، وكان لها ذاكرة خارقة حتى ذكر انها تحفظ ٣٠٫٠٠٠ اغنية ، ومن تلاميذها دنانير ويتم الهاشمية (٢٢٠) ٠

.....

(٢١٨) الاغاني جـ ١٩ ص ١٣٤ ـ ص ١٣٧ ، نهاية الارب جـ ٥ ، ٠٣
(٢١٩) الاغاني ١٤ / ١٠٩ ـ ١٤٤ ، نهاية الارب جـ ٥ ص ٨٠ ٠
(٢٢٠) الاغاني جـ ١٦، ص ١٣٦ ٠

Twitter: @abdullah1994

٥ ـ **دنانير البرمكية** : باعها أحد المدنيين ، ليحيى بن خالد البرمكي ، وكانت ذات ثقافة حسنة وشاعرة موهوبة ، ومن أساتذتها ابراهيم الموصلي واسحق الموصلي وابن جامع وفليح وبذل ، وقد غنت أمام هارون الرشيد ، ولها كتاب مجرد الاغاني ، ولم تقبل الزواج من موسيقي البلاط بحجة انه من الدرجة الثانية ٠

٦ ـ **عاتكة** : اشتهرت كمغنية من عهد الوليد الثاني ٧٢٣ ـ ٧٤٢ م قال يحيى بن علي العالم الموسيقي ، انها أحسن خلق الله في الغناء ، وكانت محبوبة جدا في بلاط الرشيد (٢٢١) ، وممن أحبهن الرشيد ، ذات الخال وسحر وضياء وعنان ٠

٧ ـ **يتم الهاشمية** : ـ مولاه من البصرة ، عاشت فيها وتعلمت على يد ابراهيم الموصلي وابنه اسحق ٠

٨ ـ **قلم الصالحية** : ـ قنية صالح عبد الوهاب ، وكانت حسنة الغناء ، والضرب ، وقد اشتراها الواثق بعشرة آلاف دينار (٢٢٢) ٠

٩ ـ **ومن القنيات الاخر ذوات الشهرة** : ـ حسنة ، ريق ، وهبه ، دخان ، سمحه ، قمرية ٠

في الاندلس :ـ

أشهر المغنيات العجفاء قينة عبد الرحمن الداخل ٧٥٦ـ ٧٨٨ م ، وقد قدمت من الشرق ، وكان يحبها ، وتعتبر من أشهر المغنيات (٢٢٣) ، وقد ارتحلت فضل الى الاندلس مع

(٢٢١) الاغاني ، ج ٦ ص ٥٧ ـ ص ٥٨ ٠
(٢٢٢) نهاية الارب ج ٥ ص ٨٨ ٠
(٢٢٣) المقري ، نفح الطيب ج ٢ ص ٩٧ ـ ص ٩٨ ٠

Twitter: @abdullah1994

رفيقتها علم واشتهرت في بلاط عبد الرحمن الثاني ٨٢٢ ٨٥٢ م ، ويقال انها كانت حاذقة في الغناء (٢٢٤) ٠

اما قلم وهي سبيه من البشكنس ، فقد كانت في بلاط عبد الرحمن الثاني ذات شهرة عالية ، وكانت مصابيح قينة ابي حفص ، فقد كانت غاية في الاحسان ، والنبل وطيب الصوت أستاذها زرياب ، مدحها ابن عبد ربه بشعره وأهداها زرياب لعبد الرحمن الثاني (٢٢٥) ٠

أما طروب ، قينة أحد التجار الذي أهداها الى احد أبناء عبد الرحمن الثاني ، وكانت لها صنعة في الغناء حسنة (٢٢٦) ٠

وكانت أنس القلوب من أشهر من نزل قصر عبدالرحمن الثالث (٢٢٧) ٠

وأخيرا كانت قمر ، أشهر مغنية زانت بلاط ابراهيم بن الحجاج « ت ٩٠٠ م » أمير أشبيلية وقرمونة ، وقد اشتهرت بفصاحتها وثقافتها ومهارتها في تأليف الالحان (٢٢٨) ٠

(٢٢٤) نفس المرجع ، ص ٩٦ ٠
(٢٢٥) نفح الطيب ج ٢ ، ص ٩٠ ٠
(٢٢٦) نفس المرجع ، ٣٩١ ٠
(٢٢٧) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ص ٨٠ ٠
(٢٢٨) نفح الطيب ج ٢ ، ٩٧ ٠

Twitter: @abdulllah1994

المرأة في العصر الحديث

١ ـ المرأة الاوروبية من مطلع العصور الحديثة حتى القرن العشـرين : ـ

ان أول ما يلفت النظر الى تلك الصيحة التي أطلقتهـا كريستين دونبيرات في القرن الخامس عشر بالسماح للنساء بالتعلم ، الا ان وضع المرأة لم يتأثر بالمعركة الاوروبية لانه لم يكن هناك احد يفكر اعطاء المرأة دورا اجتماعيا يختلف عن الدور الذي حدد لها ٠

في القرن السادس عشر كانت النساء محدودات التعليم، وجرى في هذا القرن جمع القوانين الباقية خلال النظام الملكي القديم ، وهذه القوانين كانت متأثرة بالحقوق الرومانية والتي تنظر الى المرأة نظرة احتكار ، فكانت كل الاتهامات توجـه للمرأة كالحماقة والضعف ، وقد اتخذت أساسا لتبرير نصوص القوانين الموجهة ضد المرأة ٠

أما في القرن السابع عشر فقد لمس لدى النساء نوع من التقدم في الميدان الفكري خاصة ، وفي القرن الثامن عشر ازداد استقلال المرأة وحريتها ، أما العادات فبقيت قاسـية شديدة ، فلم تكن الفتاة تأخذ قسطا محدودا من الثقافة ، كما كانت تزوج او توضع في الدير دون استشارتها ، ويذكر ول

Twitter: @abdulllah1994

ديورنت تلك العادة القبيحة التي تتنافى مع الفكر القويم ، وهي حق السيد في قضاء الليلة الاولى مع عروس رفيقه ، ويقرر أن هذه العادة بقيت في مقاطعة بافاريا بالمانيا حتى القرن الثامن عشر (٢٢٩) ٠

يقول مونتسكيو بأن كل شيء يمكن عمله في فرنسا بواسطة النساء فهن يشكلن « دولة جديدة ضمن الدولة » ٠

أما في مطلع القرن التاسع عشر فكانت المرأة مستثمرة ببشاعة اكثر من العمال الذكور وكان أرباب العمل يفضلون النساء على الرجال والعبارة القائلة « يعملن خيرا من الرجال بأجور أقل » تلقي لنا النور على مأساة العمل النسوي يقول بلانكي « في مدينة ليون بعض النساء يشتغلن وهن معلقات مستخدمات أيديهن وأرجلهن معا » ٠

وكتب درفيل عن المرأة العاملة في الثلث الاول من القرن التاسع عشر « المرأة في هذا اليوم أما حيوان للبذخ او حيوان للجر » (٢٣٠) ٠

وقال ميشليه : العاملة طاغية دنسه ، واعتبر انصرافها الى العمل تحديا للطبيعة والسعادة والحضارة ، ووصل الحد الى مقاومة النقابات للعاملة ، والاضراب كلما دخلت امرأة مصنعا (*) ٠

على انه وجد في هذا القرن من يندد بالتفرقة بين المرأة والرجل في هذا القرن مثل جون ستيوارث مل (١٨٠٦ ـ

(٢٢٩) ول ديورانت ، قصة الحضارة ج ٣ مجلد ٤ ص ٤١١ وما بعدها ٠

(٢٣٠) سيمون دي بفوار ، الجنس الاخر ، ص ٥٥ ٠

(*) جروان السابق، المرأة في القرن العشرين ص ٥٦ وما بعدها٠

Twitter: @abdullah1994

١٨٧٣ » الفيلسوف الانجليزي الذي اشتهر بنزعته الحرة ومن بين المواضيع التي عالجها في كتاباته « الحرية · الاصلاح البرلماني · استعباد النساء » وغيرها وهي جميعا تمتاز بقوة الجدل وسلامة المنطق ، ومن موقفه من مساواة المرأة بالرجل يقول « ان المبدأ الذي تقوم عليه العلائق الاجتماعية الحاضرة بين الجنسين ، وهو اخضاع أحد الجنسين للآخر بطريقة مشروعة ، خاطىء في ذاته ، وهو من أخطر عوائق التقدم الانساني ويجب أن يحل مكانه مبدأ المساواة التامة ، فلا يستأثر احد الفريقين بسلطة او امتياز ما ، ولا يحرم الآخر من حق ما (٢٣١) ·

ان المرأة الاوروبية ظلت الى القرن التاسع عشر وهي تقريبا محرومة من التعليم محرومة من الاستقلال من زوجها في ادارة ثروتها او مباشرة عمل من اعمال الحياة العامة ، محرومة من الميراث ، ولذلك بقيت محرومة من الاعتراف والاستقلال والكسب بممارسة الطب او الهندسة او سائر العلوم والفنون (*) ولكنها في منتصف القرن التاسع عشر أخذت نصيبا من التعليم والثقافة العلمية والاوساط الى تعليم بناتهم كما يعلمون ابناءهم ، ثم تقرر التعليم الاجباري للبنات بعد انتصاف القرن بنحو عشرين سنة (١٣٢) ·

وذلك لان الضمير الاوروبي وقد تنبه الى وجدان جديد هو استقلال العقل البشري وطرح التقاليد بفصل الدين عن الدولة كما ان الحركة الصناعية كانت قد جذبت ملايين العمال الزراعيين من الريف الى المدينة والمناخ الذهني في المدن هو

(٢٣١) المذاهب الاجتماعية الحديثة ، محمد عبد الله عنان ص ٣٤ ·
(*) سلامه موسى ، هؤلاء علموني ، ص ٦٢ ·
(٢٣٢) عباس محمود العقاد ، المرأة ذلك اللغز ، ص ٢٨ ·

Twitter: @abdullah1994

مناخ الحرية والاستقلال والتساؤل والشك ، ولذلك وجدت الافكار التحررية تربة خصبة في المصانع والمدن ، وقد جذبت الصناعة عددا كبيرا من النساء الى المصنع ، ووجدت المرأة في هذه المصانع جوا منعشا بعث فيها الاقدام والاستقلال ٠

انه يمكن ان يقال ان القرن التاسع عشر قد انتهى في اوروبا ولم تنل المرأة من الشرائع الحديثة ما نالته من الشريعة الاسلامية قبل ثلاثة عشر من حق التعلم وحق التصرف ، وحق طلب الطلاق لمضارة الزوج لها كيفما كانت المضارة ولو كانت أهون في الخيانة (٢٣٣) ٠

انه في مطلع العصور الحديثة بالنسبة للغرب ، أصبح حب المرأة اكثر مادية وامتد الى المرأة من الطبقات الشعبية وخرجت المرأة الاوروبية مطلقة العنان لرغباتها ٠٠٠ وزحفت نسب الاولاد غير الشرعيين متصاعدة ، ويكفي ان نذكر ان نسب هؤلاء الاولاد غير الشرعيين ، بقيت في ازدياد حتى الوقت الحاضر ، حتى انها بلغت في بريطانيا في عام ١٩٦٤م ٧٥٣٦٨ طفلا من دون آباء رسميين (٢٣٤) ٠

هنريك ابسن ١٨٢٨ ـ ١٩٠٦ م : الاستقلال الروحي للانسان عامة وللمرأة خاصة ، وقد ألف درامته « لعبة البيت » في دعوة المرأة الاوروبية الى أن تستقل ، وتنشد الامان ، وتجرب التجارب ، وتختبر الدنيا ، وترى نفسها ، بدلا من أن تعيش خلف الرجل يكسب حولها ويحوطها برعايته ويدللها في البيت ويقصر حياتها على الزواج والامومة ٠

لقد جاء ابسن في منتصف القرن التاسع عشر فبلور آراء جوستاف فلوبير في « مدام بوفاري » وستيوارث مل في

(٢٢٣) عباس محمود العقاد ، المرأة ذلك اللغز ، ص ٢٨ ٠
(٢٣٤) الاخبار المصرية ، ١ـ١ـ١٩٦٤م ٠

Twitter: @abdulllah1994

« اخضاع المرأة » ومدام بوفاري قصة امرأة تزوجت أحد الاطباء في الريف وجدت الحياة دون نشاطها فانتحرت ، وكأن المؤلف يقول « ان حال المرأة الاوروبية سيء واننا لا نفتح لها أبواب الرقي ، ولذلك تنزلق الى مهاوي الشهوة الجنسية كي تخفف من سأم العيش المبتذل بين جدران المنزل ٠٠٠ » ٠

أما كتاب ستيوارث مل فهو تاريخ استبداد الرجل بالمرأة وهذا الاستبداد لا يغير بالمرأة وحدها ويعطل كفايتها ويحول دون رقيها باعتبارها انسانا ، وانما هو يعطل المجتمع كله نساء ورجالا ٠

أما ابسن فقد بلور هذه الآراء وأخرجها في دراما موجعة سامية اهتزت منها المجتمعات الاوروبية ، وأصبحت «نورا» بطلة هذه الدراما قدوة المرأة الناهضة ومشعلا له تهتدي بنوره ٠

لقد أحدثت دراما ابسن ضجة كبرى في المجتمع الاوروبي لانها صدمت العقائد والتقاليد ٠٠٠ وان جمال الوجه والصدر والقامة والفخذين هو جمال الانثى القديم ٠٠٠ وأما جمال المرأة الجديد فيجب ان يعلو على ذلك اي يجب ان ينطوي على العقل النير والشخصية الراقية التي تدربت بالتجارب والاختبارات وارتقت بالثقافة واشتركت في شؤون المجتمع ٠٠٠ (٢٣٥) ٠

جاء القرن العشرين ، بدأت مذاهب اجتماعية حديثة، فايطاليا الفاشستية استعبدت المرأة للسلطات العامة للزوج وقد ضيقت كل من النازية والفاشستية على المرأة وأفقدتها كثيرا من حرياتها المأثورة ، كما حرمتا ضروب اللهو الخليع

(٢٣٥) سلامه موسى، هؤلاء علموني، اقرأ رقم ١٩٧٢/٣٤٩م ص ٦١، ٦٣ ، ٦٧ ٠

Twitter: @abdulllah1994

ووضعتا الحانات الليلية والملاهي العادية ، والهدف من كل هذا مكافحة الغواية والفساد التي فيها تهتك المجتمع النسوي وامعانه في صفوف الاستهتار والخلاعة وردها الى حظيرة الاسـرة ٠

لقد بدأ القرن العشرين وفي البلاد الاوروبية المتقـدمة جيل من الفتيات تعلمن ما يتعلم أندادهن من الفتيان ، ونشطن لطلب الحقوق السياسية عندما اخذت أمم أوروبا الدستورية في توسيع حقوق الانتخاب بعد ان كانت محصورة على طائفة محدودة من الرجال ٠

ان النرويج هي أول دولة منحت النساء حق الانتخاب، اذ نلنه في سنة ١٩١٢م ، بيد أن النساء في انجلترا لم ينلن هذا الحق الا سنة ١٩٢٨ م ، بعد كفاح طويل شاق (٢٣٦) ٠ أي بعد تسعة عشر عاما مرت على أضخم مظاهرة قمن بهـا من أجل المطالبة بهذا الحق سنة ١٩١١م ، لم ينلن هذا الحق الا بعد ان أصبح عاما لجميع الرجال ، حيث كانت حركتهن في بادىء الامر تقابل بالضحك والمزاح ، الى أن نشبت الحرب العالمية الاولى وخلت المصانع والمعامل من صناعها وعمالها وجندوا في الميدان ، فامتلأت اماكنهم بالصانعات والعاملات٠ ورأى النواب الانجليز ان يقرروا مطالب المرأة الدسـتورية مكافأة لهَا على معونتها في كسب النصر وتمريض الجرحـى ومواساة المصابين ، فصدر القانون الذي يمنحهـا حقوق الانتخاب ، مقيدة ببعض قيود السن والثقافة ، ثم صدر قانون الغاء الميزات الجنسية فقانون الانتخاب العام الذي يتساوى فيه الرجال والنساء اذ شاع في الامم الاوروبية تخويل المرأة

(٢٣٦) محمد عبدالله عنان ، المذاهب الاجتماعية الحديثة ص ٣٣ ٠

Twitter: @abdullah1994

حق الانتخابات وحق النيابة مع بعض القيود أو من غير قيـــود (*) ٠

ان حق الانتخاب ما يزال في بعض الديمقراطيـــات العريقة مثل سويسرا مقصورا على الذكور دون الانات(٢٣٧)٠

ونلاحظ ما كانت تتمتع به المرأة السويدية من مكانة متدنية ففيعام ١٧٧٢ م صدر قانون سمح بموجبه للارامل الفقيرات بيع السجائر ، وفي سنة ١٨٠٤ م سمح للنســاء بصورة عامة ببيع الشموع ، ونلاحظ انه حتى نهاية الربع الاول من هذا القرن لم تحصل المرأة على مساواة تامة بالرجل فقبل عام ١٨٨٩ م ، لم تكن المرأة قادرة على الزواج دون الحصول على موافقة الوالدين او احد الاقرباء في حالة وفاة الوالدين ، وفي هذا العام منحت المرأة حق الزواج ممن تختار دون الرجوع الى الوالدين وذلك بعد بلوغها الواحدة والعشرين وهو سن الاهلية الآن في السويد ، وفي هذه الفترة سمح للمرأة أن تعمل معلمة او موظفة في مؤسسات البريد والهاتف ، كما سمح لها ان تحصل على شهادات عالية من المعاهد العليا والجامعات وأصبح بامكانها ممارسة مهنة الطب والمحاماة والهندســة ٠

وفي عام ١٩١٨ م حصلت المرأة على حق التصويت « والحرية في الزواج (*) ، ولكن في عام ١٩٢٣ أصــدر تشريع حصلت فيه المرأة السويدية على مثل حقوق الرجل

(*) انظر الفقرة التالية : كيف أثر قيام الحربين العالميتين على مركز المرأة الاوروبية ٠

(٢٣٧) المرجع السابق ، ص ٣٣ ٠

(*) جروان السابق ، المرأة في القرن العشرين ، بيروت ٠

Twitter: @abdulllah1994

في نطاق الخدمات العامة والتساوي بالميراث ولكنها لم تحصل على حق المساواة في الاجور (٢٣٨) ٠

أين هي حقوق المرأة الفرنسية ؟ :

طالما انه حتى فبراير من عام ١٩٢٨ صدر قانون في غاية الغرابة هذا القانون يمنعها حق التوقيع على شيكات الصرف وامضاء العقود المالية وأخذ نصيبها من الارث ٠

انه لم يكن في مقدورها ان تهب او أن تنقل ملكيتها ، أو ترهن أو أن تملك بعوض أو بغير عوض ، بدون اشتراك زوجها في العقد أو موافقته عليه موافقة كتابية ، ويعلق الدكتور علي عبد الواحد وافي على هذه المادة بقوله : ومع ما أدخل على هذه المادة من قيود وتعديلات فيما بعد فان كثيرا من آثارها لا يزال ملازما لوضع المرأة الفرنسية حتى العصر الحاضر (٢٣٩) ٠

وعن حرية المرأة الفرنسية في سنة ١٩١٢م بالذات يقول الاستاذ محمد عبد الغني حسن في ترجمته للمرحوم جرجي زيدان يقول نقلا عنه : « عندما شاهد زيدان في رحلته الى أوروبا سنة ١٩١٢ م ، الحرية البالغة التي تتمتع بها المرأة الفرنسية وتجاوزها الدور في اساءة استعمال هذه الحرية ، حمد الله على حالة المرأة العربية ، وكان يرضى لها بالحجاب والجهل ، مع انه كان أشد القوم هنا (٢٤٠) مناصرة لحركة

(٢٣٨) المرأة في السويد، من مشاهدات الاستاذ محمد سعيد الجندي، رسالة المعلم عددي شباط ونيسان سنة ١٩٦٦ م ، ص ٩٦٠

(٢٣٩) الحرية في الاسلام ، ص ١٨ ٠

(٢٤٠) اي في مصر ٠

Twitter: @abdullah1994

تحرير المرأة التي دعى لها قاسم أمين » (٢٤١) ٠

اذا كان هذا هو الوصف لحرية المرأة الفرنسية الشخصية في سنة ١٩١٢ م فكيف يا ترى حالها اليوم ؟ ، وما هي الحرية التي تنشدها عرائسنا البرجوازيات في العالم العربي ، من جراء انقيادهن الاعمى وراء كل ما تنقله موضات باريس ! ولنا لقاء حول هذا الموضوع عندما سنتحدث عن المرأة العربية فيما بعد ، واذا تركنا اساءة الحرية الشخصية، فان الفكرة الديمقراطية قد خطت عقب الحرب العالمية الثانية خطوات حاسمة في سبيل المساواة بين الجنسين في الحقوق العامة ، وخصوصا بعدما بذلته النساء في جميع الامم الديمقراطية من جهود شاقة في سبيل تدعيم المجهود الحربي، كما أشرنا قبل قليل الى جهود المرأة الانكليزية فقد منح النساء حق الانتخاب في دول كثيرة لم تكن نتيجة من قبل مثل فرنسا وايطاليا والبلجيك ٠

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية اجتمعت هيئة الامم المتحدة ، فاتفقت على اعلان حق المساواة ومنها مساواة المرأة والرجل في جميع الحقوق والمزايا ، وأوجبت على أعضائها ان يعملوا في بلادهم على تعميم هذه المبادىء او التدرج فيها حسب أحوال البلاد ٠

وعن الوضع الحاضر تقول سيمون دي بفوار « أما العصر الحالي يقتضي من النساء العمل بل يضطرهن اليه ، وفي نفس الوقت يغررهن بالبطالة واللذائذ ، والنساء لا يزلن حتى الآن في حالة التبعية واللذائذ ، وينجم عن ذلك ان على

(٢٤١) محمد عبد الغني حسن ، جرجي زيدان ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٤٢ ٠

Twitter: @abdullah1994

المرأة ان تعرف نفسها وتختار لنفسها لا على انها موجودة ، بذاتها بل كما يحددها الرجل ان كونها « للرجل » عنصر جوهري من عناصر وضعها الواقعي (٢٣٩) ٠

كيف اثر قيام الحربين العالميتين على مركز المرأة الاوروبية :

الحرب العالمية الاولى معجال للتاريخ ، وفاصل حاسم بين عالمين ، لانها نقلت الانسانية من مرحلة التطور البطيء الى مرحلة التطور السريع ٠

لقد نقلت هذه الحرب الشبان الى ساحات القتال ، ووجدت المرأة نفسها في وضع جديد مفاجيء للمرة الاولى في تاريخها وجدت ان الواجب يحتم عليها ان تقوم بواجبات الرجال ، لان البيت أقفر من الشباب ٠

لقد أصبحت الحسناء المحمية سابقا مدعوة الآن الى حماية البيت ، أي ان تحل محل الرجل ، الى جانب مهامها الاخرى السابقة ٠

لقد اشتعلت الحرب في موسم الحصاد ، فأصدرت وزارات الداخلية في البلدان الاوروبية نداء الى النساء لجني المحاصيل الزراعية ٠

أليست هذه هي الفرصة المناسبة والمتاحة لتثبت قدرتها على تأدية الدور الذي كان الرجل يؤديه ٠

لقد قامت المرأة الاوروبية ، بدور المرأة والرجل خلال هذه الحرب ، الالمانية تشتغل عمل الرجل في صناعة الزجاج والنسيج والبورسلين والمناجم والبناء ، والانكليزية شرطية وضابطة ارتباط ومديرة في خدمات قوات المؤخرة ، وأمينة سر بلدية ورئيسة بلدية ، وبرزت المرأة الروسية استاذة في

٢٤٠) الجنس الاعر ، ص ٦٠ ٠

Twitter: @abdullah1994

الجامعات ومهندسة في الخطوط الخلفية وكيمائية في المختبرات

دامت الحرب العالمية الاولى أربع سنوات ، وعنـــد انتهائها انتهت تعبئة النساء التلقائية مثلما بدأت ، فعـادت المرأة الى بيتها دون صخب ، فهل خسرت ما كسبته من التحرر خلال هذه الحرب ؟ وما النتائج التي حصلت عليها بحكـــم ممارستها لوظيفة الرجل ؟

أليست الحياة في تطور مســتمر ، وهذه الحرب اذا كانت معجالا للتطور ؟

لقد خسرت الانسانية في هذه الحـرب ٨ر٧٠٠ر٠٠٠ نسمة معظمهم من الرجال ، وبالتالي زاد عدد النساء على عدد الرجال، وعرف تاريخ المرأة نوعا من النساء «الوحيدات» الارامل ، اللواتي يحتجن الى الاعالة ٠

ولكن هل كانت النتيجة كلها سلبية ؟ لقد أعطت الحرب الكونية الاولى المرأة ما لم تعطه أية ثورة قامت ، لقد علمتها الحرب كيف تعيش عصامية خلال فترة غياب الرجل في ساحة القتال ٠٠٠ ولما كان التاريخ لا يعود الى الوراء ٠٠٠ فان المرأة وضعت قدمها في الركاب ، منطلقة في مسيرتهـــا الجديدة ، مودعة الخنوع والدموع ، انها تشكل نصف المجتمع الخليط الذي يكون آلامه ، وتفخر به بقدر ما يفخر به الرجل، وهي الحرة الجديرة باستغلال مواهبها ٠

وعلى الطرف الشرقي من أوروبا تقوم الثورة البلشفية، وتصدر قانونا جديدا للزواج وتعلن المساواة بين الرجـــل والمرأة ٠

وهكذا استقلت المرأة الاوروبية والامريكية ، وعصفت الريح الامريكية على المرأة اليابانية ٠

لقد جعلت هذه الحرب من المرأة في الدول التي أصابتها

Twitter: @abdullah1994

طليعة المرأة الحديثة قطعة التبديل الجديرة بالتشبه بالرجل تسأل الرجل كما يسألها ، انها الانسان الذي يتساوى ذكره وانثاه ، ولكن انثاه ما زالت مصممة على عطاء الحياة ٠

ومع كل هذا، فانه حتى عام ١٩٢٦ م ، اي بعد نهاية الحرب بثماني سنوات ، لم يبلغ اسهام المرأة في الاعمال المستوى المطلوب فقد نشر مكتب العمل الدولي في هذا العام احصاءاته حول نشاط المرأة ، وتبين ان نسبة النساء العاملات في فرنسا ٣٩ر٦ بالمئة ، وألمانيا ٣٥ر٨ بالمئة ، وهما اكثر من تضرر بالحرب ، وفي بلجيكا ٢٥ بالمئة ، والولايات المتحدة ٢٠ر٥ بالمئة ، وبريطانيا ٢٩ر٤ بالمئة ، وايطاليا ٢٨ر٦ بالمئة. والسويد ٢٩ر٨ بالمئة ، وسويسرا ٣٣ر٩ بالمئة . وتشيكوسلوفاكيا ٣٠ر٢ بالمئة ٠

ويعزى هذا الاختلاف في النسب الى العقلية الرجعية التي ارتدت بعد زوال نشوة الانتصار الحربي او مرارة الهزيمة ٠

هكذا كانت المرأة خلال الحرب العالمية الاولى وبعدها ٠

الاعوام تمر بسرعة ، والوضع في أوروبا يتأزم من جديد حتى انفجرت الحرب العالمية الثانية ، التي كانت اشد فتكا وضراوة من الاولى ، ليس لانها دامت خمس سنوات ، بزيادة سنة عن الحرب الاولى ، وانما لان الاسلحة التي استعملها المتحاربون كانت أشد فتكا ، ولان الاحقاد الحربية لم توفر الاهداف المدنية ٠٠٠ مما ألزم المرأة الاوروبية بالقتال ولم يكن لها خيار في ذلك ، والطائرات تقصف البيت الذي تعيش فيه ٠

لقد تساوت مع الرجل في المسؤوليات والآلام ، وكاد نشاطها في حرب الانصار والعمليات السرية الفدائية أن يفوق نشاط الرجل الذي كان يجابه الموت وجها لوجه ٠

Twitter: @abdulllah1994

ولكن هل خرجت المرأة من هذه الحرب بنصيب وافر من الظفر ، كما انتهت اليه دول الحلفاء ؟

نعم ، فانه ما كادت هذه الحرب تضع أوزارها حتى كانت المرأة ند الرجل ونظيره ، فالمرأة الامريكية غدت مستقلة وذات اعتبار خاص ، والمرأة البلشفية ، كما أراد لينين « على كل طباخة أن تتعلم توجيه الدولة » ٠

ان الحرب العالمية الثانية أظهرت بوضوح دكتاتورية المرأة الحقيقية خلال الحرب ، فأصبحت القائدة في كولوخوزها ، مدورة الوجنتين ، ضاحكة العينين ، عامرة الصدر ، ولم يبق في كل قرية صغيرة سوى ثماني نساء ورجل واحد ، بينما كانت نسبة العاملات في المصانع السوفياتية قبيل الحرب ٤١ بالمئة من اليد العاملة ٠

وقررت بعض البلدان الاوروبية ، ولا سيما المنتصرة ، التي أسهمت فيها المرأة بدور فعال كفرنسا ان تمنحها ما ينقصها من الحقوق، ومشت المرأة المفكرة في موكب الرجال، وهي تنظر الى المساواة نظرة جدية ٠٠٠ لكنها لم تدرك ان صوتها يتمزق وهي تزغرد بصوت الرجال !

أما المرأة في دول العالم الثالث التي كانت ترزح تحت نير المستعمر المنتصر في الحرب الكونية الثانية ٠٠٠ فكان المهم في نظرها « تصفية هذا الاستعمار » وتحررها من هذا الاستعمار ، لتمارس دورها في الحياة ٠٠٠ وربما تزعم انها النواة لانسانية جديدة ، وكان كل همها : كيف تناضل لتصفي هذا الاستعمار ؟

٢ ـ المرأة الامريكية :

ان نشاط المرأة بشكل بارز بدأ في القرن التاسع عشر، وبالاحرى في منتصفه عندما عقدت أنات أمريكا مؤتمرا في سينيكافول في ولاية نيويورك عام « ١٨٤٨ » لتبني التصريح

Twitter: @abdullah1994

المتعلق باعلان الاستقلال ، وفي نهاية حرب الانفصال «١٨٦٠ ـ ١٨٦٥ م » تعالى صوتها ، بالمطالبة بالحقوق التي يتمتع بها العبد المحرر ، فلم يجد الامريكيون ما يبرر رفضهم لهذا الطلب وفي السنوات التالية بلغ نشاط المرأة الامريكية المتزوجة الذروة في الكونغرس ، وأخذت تطالب بالاستقلال التام ، وتحقق لها بعضه ، وبلغ عدد النساء اللواتي كن يدرن مشاريع خاصة ربع مليون امرأة ، وما أن جاء عام ١٨٩٠ م حتى بلغ عدد المعلمات ضعف عدد المعلمين (٢٤٠) ٠

أما حق الانتخاب لم يمنح للمرأة الامريكية الا في سنة ١٩٢٠ م وبعد محاولات عديدة شملت كل ولاية بمفردها(٢٤٢) ومع هذا التقدم المضطرد للمرأة الامريكية فانه حتى عام ١٩٦٠ م « كان اهتمام الغالبية العظمى من النساء الامريكيات لا يزال منصبا على المنزل وادارته والعائلة والعناية بشؤونها (٢٤٣) ٠

وتجمع فريق كبير من النساء الامريكيات بين تدبير شؤون البيت والعمل في الوظائف ، ونحو ربع عدد الارامل والمطلقات ، أمهات عليهن ان يعملن لاعالة أولادهن ، وتدل الاحصائيات على أن ٦٠ بالمئة من مجموع العاملات متزوجات لقد أخذ ينمو باضطراد الرأي القائل بوجوب اشراك النساء في الاضطلاع بالمسؤولية لخيرهن وللخير العام (٢٤٤) ٠

(ع٢٤١) جروان السابق ، المرأة في القرن العشرين ص ٧١ ـ ٧٢٠
(٢٤٢) محمد عبد الله عنان ، المذاهب الاجتماعية الحديثة ، ص٣٣، انظر كذلك جروان السابق ، المرأة في القرن العشرين ص ٧٧، حيث يذكر انه عند بدء الحرب العالمية الأولى كان للمرأة حق التصويت في ٢٥ ولاية ٠
(٢٤٣) حقائق ومعلومات عن الولايات المتحدة الامريكية ص ٧٢ ٠
(٢٢٤) نفس المرجع ، ص ٧٣ ٠

Twitter: @abdulllah1994

وفي الوقت الحالي تلعب المرأة الامريكية ، دورا متزايدا في الصناعة والتجارة والسياسة ، في السياسة بالذات كان لها أن تلعب الدور الاكبر (٢٤٥) ، وهكذا فسنوات هذا القرن الاولى كانت سنوات «النمو لحرية المرأة الامريكية» (٢٤٦) ٠

ويمكن أن نفسر ذلك بوفرة الآلات الميكانيكية في البيت الامريكي اغنت المرأة عن العمل في المطبخ والغسل فـــزاد فراغها الذي احتاجت الى أن تشغله بالعمل والكسب خارج البيت ، ومعنى هذا ان التغير في الانتاج المنزلي قد احـــدث تغيرا في اخلاق المرأة ، والمقارنة بين المرأة الامريكية التـي تعمل في المصانع والمتاجر والمكاتب ، وتســتقل بعواطفها ، وترسم بيدها خارطة حياتها ، وتقرأ وتناقش وتكسب وتخسر وتصيب وتخطىء ، وقد تكونت لها شخصية رصينة بصـيرة قوية من هذه الحياة ، والمرأة الاوروبية في الاقطار الجنوبية مثل اسبانيا واليونان وايطاليا حيث لا يزال المطبخ يجري على تقاليده ويستأثر بمعظم الوقت ، وحيث يسود الرجل على المرأة وله الكلمة العليا ، بحيث يقرر لها ، أو يكاد يقـرر لها مصيرها ، هذه المقارنة توضـــح لنا سمو المرأة الامريكية الجديدة ، باعتبارها انسانا عاقلا مستقلا على المـــــرأة الاوروبية الجنوبية التي لا تزال مقيدة بالتقاليد ٠

ان العمل والكسب والاختبار والاصابة والخطأ والاختلاط بالمجتمع قد ربى المرأة الامريكيـــة ، في حين ان الانزواء في البيت قد قيد النمو الذهني للمرأة الاوروبية الجنوبية وطبعا لا نذكر هنا المرأة الشرقية التي ورثت تراثا سيئا من القرون المظلمة ، هو تراث الرق والخصيان والحجاب او بالاحرى ،

(٢٤٥) The American Woman, A Historical Study, p. 65.

(٢٤٦) E. V. Ding Wall, p. 122.

Twitter: @abdulllah1994

كما قال سلامه موسى : وأولئك الذين يدافعون عن الحجاب ينسون خصاء الزنوج كي يتممه ، اي يتمم الحجاب ، ولعلهم يخجلون حين يذكرون ذلك (*) ٠

ومع كل ما سبق ذكره عن المرأة الامريكية فانها لم تتوصل حتى الآن الى المساواة مع الرجل ولفت نظري هنا الاضراب الذي دعت اليه « المنظمة الوطنية للنساء » وذلك لكي تدفع المؤسسات والشركات للمرأة قيمة راتب الرجل ، وان لا تقوم دوما بعمل تابع للرجل وأن لا تبقى كائنا غير متكافىء معه ٠

أما عن مشكلة المرأة الزنجية في أمريكا امام التمييز العنصري فاننا نكون مصيبين اذا قلنا ان المرأة العبدة غالبا ما تعتز بكونها أما لاولاد الرجل الابيض غير الشرعيين فاننا ، « انما نكشف تماما عن قبول العبد لتقدير العالم المسيطر للقيمة النسبية للرجل الاسود والابيض » (٢٤٧) ٠

٣ ـ المرأة في الهند الحديثة :

نكتفي هنا بأن نقتطف ما كتبه المهاتما غاندي تحت عنوان أمي البقرة في الـ :

BAHAVANS JOURNAL, SAMVEDRA 626, p. 11.

فقد كتب يقول : « أمي البقرة تفضل أي الحقيقة في عدة وجوه ، فالام الحقيقية ترضعنا يوم أو يومين وتتطلب منا الخدمات طوال العمر نظير هذا ولكن أمنا البقرة تمنحنا اللبن ولا تتطلب منا شيء مقابل ذلك ، سوى الطعام العادي وعندما تمرض الام الحقيقية تكلفنا نفقات باهظة ، ولكن أمنا

(*) هؤلاء علموني ، ص ٦٧ ٠
(٢٤٧) اينا كورين بروان، تاريخ الزنوج، ص ٨٨ ت٠و٠م٠ عيسى

Twitter: @abdulllah1994

البقرة تمرض فلا تكلفنا شيئا ذا بـال ، وعندما تموت الام الحقيقية تكلفنا جنازتها مبالغ طائلة ، وعندما تمـوت أمنـا البقرة تعود علينا بالنفع لاننا ننتفع بكل جزء من جسمها ، حتى العظم والجلد والقرون » ٠

اذا كانت هذه هي نظرة من ينظر اليه الهنود نظـــرة تقديس مع عدم انتقاصنا من قدرته كزعيم ، فان الهنود ينظرون الى أفعاله وأقواله كنبراس يحتذون حذوه بل وتوراة وانجيل وقرآن في حياتهم المعاصرة ، وهذا هو نصيب المرأة الهندية المعاصرة الذي منحها اياها رسول الهند الاكبر ٠

٤ ـ المرأة في أفريقيا السوداء :

تمثل المرأة في افريقيا السوداء مكانا مرموقا اكثر مما يعتقد بوجه عام ، وعادة شراء الزوجة كثيرا ما يسيء فهمها الشعب الاوروبي ، ففي شعب الاشانتي وغيرها من القبائل ، يمكن للمرأة ان ترث وتحتفظ بأملاك لها ولا يستطيع زوجهـا أن يتصرف بها ، وبالرغم من انه ليس للفتاة نظريا اي رأي في اختيار زوج لها الا أنه عمليا لا تسير الامور على هـذا النحو ، فالشاب عادة يطلب من والده ان يضمن له الفـتاة التي يرغب في الزواج منها وكثيرا ما تستجيب الفتاة نفسها لهذا الطلـــب ٠

ان تعدد الزوجات ما يزال منتشـــرا في المجتمعات الافريقية ، كما ان الارامل تجري وراثتهن حتى في هذه الحالة غالبا ما تعطى المرأة بعض الخيار في هذا الشأن ، ولا توجد في أفريقيا بصفة عامة أرامل وأيتام دون حماية ، وفي الايام السابقة كان للملكة الوالدة في شعوب الاشانتي نفوذ كبير في نظام المجتمع وحين وقع ملك الاشـــانتي معـاهدة سلم مع الحكومة البريطانية كان من بين ممثليه المسؤولين أميرة من البيت المالك وقال أحد شيوخ الاشانتي لاحد المسؤولـــــين

Twitter: @abdullah1994

البريطانيين « لقد كنا نظن ان الاوروبيين لا يقيمون وزنا لنسائهم ، ونحن ندرك انكم لا تعترفون بهن كما نعترف نحن بهن دائما (٢٤٨) ٠

ويكفي ان نعرف ، ان جماعات أفريقيا رفعت المرأة الى مستوى المحارب ، ان لم تكن قد ارتفعت بقوتها وسلطانها وخير مثال على ذلك ما كان لملك داهومي من الحارسات النساء عندما احتل الفرنسيون بلاده ، فقد بلغ عدد حراسه ألفا وخمسمائة من الرجال ، وخمسمائة من النساء (٢٤٩) ٠

انه في السفانا الحارة في افريقيا ، كثيرا ما تقوم المرأة بأعمال الزراعة وفيها معروفة جدا عادة تعدد الزوجات ، لانجاب الاولاد ، وتوثيق الروابط بين الاسر ، والمهر من الابقار ، وللنساء هنا طريقة خاصة في تصفيف شعورهن ٠

٥ ـ المرأة في الاشتراكية :

ان الحركة النسائية في الاتحاد السوفياتي في القرن التاسع عشر ، كانت أوسع منها في أي بلد آخر ٠

ولكن النهضة الحقيقية للمرأة الروسية ، جاءت بعد الثورة البلشفية ، ذلك ان الدستور السوفياتي الروسي لا يفرق في شيء بين الرجال والنساء ، وقد جعل الدستور السوفياتي الجديد المساواة بين الرجال والنساء قاعدة مطلقة فنص في المادة ١٢٢ على ما يأتي :

منح النساء في الاتحاد السوفياتي حقوقا مساوية لحقوق الرجال في سائر نواحي الحياة الاقتصادية والحكومية

(٢٤٨) اينا كورين بروان ، تاريخ الزنوج ، ص ٤٥ ـ ص ٤٦ ٠
(٢٤٩) جروان السابق ، المرأة في القرن العشرين ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ص ٢٦ ٠

Twitter: @abdullah1994

والثقافية والاجتماعية ، ويضمن للنساء مزاولة هذه الحقوق، بمنحهن حقوقا متساوية مع الرجال في العمل والاجور ، وفي الراحة والاجازات ، والتأمين الصناعي والتربية ، وبحماية الدولة لمصالح الام والطفل ، ومنحها قبل الوضع وحين الوضع اجورا كاملة ، وكذلك باعداد شبكة واسعة النطاق من دور الامومة والتمريض ورياض الاطفال ٠

ويعتبر القانون ان على الزوجين نحو اولادهما واجبات متماثلة ، وقد عدل قانون الاسرة والزواج السوفياتي في يوليو سنة ١٩٤٤ م ، كان القانون القديم نصير الزواج العرفي الذي لم يسجل بصفة رسمية ويرتب على المعاشرة نفس الحقوق والواجبات التي يرتبها على الزواج المسجل ، ولكن القانون الجديد لا يعترف الا بالزواج المسجل وهو « دون غيره يعطي حق النفعة واقتسام الملك عند الطلاق والميراث وعلى ذلك فالقانون جديد لا يحمي الزواج العرفي » (٢٥٠) ٠

وقد قيل في تبرير التشريع الجديد ، ان الظروف الاجتماعية في الاتحاد السوفياتي قد تطورت تطورا عظيما وألغيت كل ضروب الايثار الاجتماعية والاقتصادية وأضحى الزواج قائما على الحرية والمساواة بين الرجل والمرأة واذا فلا مبرر لقيام الزواج العرفي ٠

هذا فضلا عن ان تسجيل الزواج يمكن الدولة من حق الهيمنة على العلائق الزوجية وتحريم ما يرى منافيا منها لصالح المجتمع ٠

ويقوم القانون الجديد على أساس المساواة التامة بين الزوجين ولا يقيم وزنا لاختلاف القومية او الجنس او الدين

(٢٥٠) محمد عبدالله عنان ، المذاهب الاجتماعية الحديثة ، ص ١٢٨٠

Twitter: @abdullah1994

أو الحالة الاجتماعية ويكفي في عقده رضاء الزوجين ، على ان لا تقل سن كل منهما عن ثمانية عشر عاما ، وان يكون حرا من كل الروابط الزوجية ولا ضرورة لرضى الوالدين أو الاوصياء وكل طرف حر في الاحتفاظ باسمه اذا شاء ، وله أن يزاول الحرفة او المهنة التي يريدها ، وللزوجين ان يعيشا معا او يعيش كل منهما على انفراد ، وفيما يختص بحقوق الملكية يحتفظ كل من الزوجين بما كان يملكه قبل الزواج ، ويعتبر ما أحرزاه خلال الزواج ملكية مشتركة ، فاذا حدثت الفرقة بينهما قسم بينهما سواء بالاتفاق او بحكم القضاء ٠

والنفقة واجب متبادل على الزوجين ، فاذا عجز أحدهما عن العمل اوالانفاق وجب على الآخر عوله ٠

وللزوجين حقوق متساوية على الاولاد ولكن القانون يعتبر الوالدين أوصياء فقط على الاولاد ويتدخل لحمايتهم حتى متى ظهر تقصير من الوالدين في تربيتهم او حماية مصالحهم والوالدين مسؤولين عن تربية الاولاد حتى يبلغوا سن الرشد والطلاق تقضي به المحكمة وعليها قبل ان تحكم أن تحاول التوفيق بين الطرفين ، واذا حدث الطلاق عينت المحكمة من له الحق من الزوجين في وصاية الاولاد وقضت عليه بالنفقة الواجبة وفقا لعدد الاولاد ولا يقع حرمان الاولاد القصر من الميراث ٠

ويشجع التشريع الجديد الاسرة ، وتجزى الامومة بزيادة الاجور ، ومنح اعانات خاصة للاسرة الكبيرة ابتداء من الولد الثالث واعفائها من بعض الضرائب ، هذا فضلا عما يرتبه من عناية الحكومة بتربية اولاد الامهات غير المتزوجات واعتبارهن من الوجهة الاجتماعية متمتعات بسائر الحقوق التي للمرأة المتزوجة ، ان المذهب الاجتماعي يشجع المرأة

Twitter: @abdullah1994

وبصورة خاصة رفع كفائتها المهنية وان ذلك هو مهمة تقع على عاتق المجتمع والدولة (٢٥١) ٠

ويرى الاشتراكيون ان الاستمرار في تحقيق مبدأ المساواة في الحياة الاجتماعية واكتساب النساء لممارسة المهام والوظائف المسؤولة ، يشكلان احدى المهمات الرئيسية الملقاة على عاتق القوى الاجتماعية ، خلال بناء النظام الاجتماعي المتطور للاشتراكية (٢٥٢) ٠

ويضع لينين المرأة امام حقيقة هامة بقوله « اذا كان على المرأة ان تحقق الحرية التامة والمساواة مع الرجل ، فعليها ان تعلم ان اعمال ادارة البيت ، يجب ان تقوم على أسس جماهيرية ، والمرأة ينبغي ان تعمل في العمل الانتاجي ومن ثم فسوف تحتل المرأة الوضع الذي يحتله الرجل في المجتمع (٢٥٣) ٠

ويقول انجلز « جيل من الرجال الذين لم يضطروا في يوم من الايام ، أن يبتاعوا استسلام المرأة سواء بالمال أو بأية وسيلة اخرى من وسائل النفوذ الاجتماعي وجيل من النساء اللواتي لم يضطررن قط للاستسلام للرجل تحت تأثير اعتبار غير اعتبار الحب الحقيقي ، سوف يحددن لانفسهن السيرة الخاصة بهن ويخلقن رأيهن العام ، الذي يلائم سيرة كل واحدة منهن (٢٥٤) ٠

(٢٥١) ٢٠ عاما جمهورية المانيا الديمقراطية ، ترجمة انترتكس ١٥ مايو ١٩٦٩ م : ٢٣ ٠

(٢٥٢) المرجع السابق ٦٤ ٠

(٢٥٣) مجلة الشؤون السوفياتية ، ميونيخ المانيا الغربية عدد ٢٢ المرأة السوفياتية اليوم وغدا ، بقلم : انيتا جلاسل : ٥٤ ٠

(٢٥٤) The Original of Family Private Property and State, Marx and Engles Selected Works, Foreign Languages Publishing House.

Twitter: @abdullah1994

٦ ـ المرأة العربية في العصر الحديث :

«١» في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين بدأ رحالة عرب بزيارة اوروبا ، بدأوا بفرانسيس مراش وسليمان الحريري سنة ١٨٦٧ م وانتهوا بعلي ابو الفتوح وأحمد زكي سنة ١٩٠٠ م ، وقد أشاد هؤلاء جميعا بتعليم المرأة لانهم رأوا بأنفسهم الدور الذي تلعبه في الحياة الاجتماعية ، وقد دعى رفاعه الطهطاوي مثلا الى انشاء مدرسة للبنات وهو أول من كتب في العربية كتابا مدرسيا خاصا بالبنات اسماه « المرشد الامين للبنات والبنين (٢٥٥) ٠

ثم كانت رحلة جرجي زيدان سنة ١٩١٢ م ومن مشاهداته هناك الحرية المبالغ فيها التي تتمتع بها المرأة الفرنسية وتجاوزها اساءة استعمال حدود هذه الحرية ، فحمد الله على حال المرأة المصرية ، وكاد يرضى لها الحجب والجهل على انه كان من أشد القوم مناصرة لحركة تحرير المرأة التي دعا اليها قاسم أمين (٢٥٦) ٠

ولا يفوتنا ان نذكر هنا ان القرن التاسع عشر لم يكن قرن جهل بالنسبة للمرأة فانها في ذلك القرن كانت تتعلم على يد الشيوخ ، ويقول مصطفى نور الدين في كتابه « الروض الانف » ص ٤٧ ـ ٤٨ انه في هذا القرن ظهرت سيدات على جانب من الثقافة والتعليم ومنهن من شجعت على تدوين التاريخ (٢٥٧) ٠

الا ان هذا لا يخرج عن كونه حوادث فردية حيث انها

---

(٢٥٥) العربي ، عدد ٦٩ ، ص ١٣٨ ٠
(٢٥٦) اعلام العرب ، عدد ٩٠ ، ص ٤٣ ٠
(٢٥٧) الموصل ، ١٩٤٨ م٠

Twitter: @abdullah1994

من الناحية الاجتماعية حجبت في البيت ومنعت من الاختلاط بالرجل وكانت لا تخرج من البيت الا في النادر ويعتبرهـــا الرجل عبئا ثقيلا يجب التخلص منه ، وكان يفرح اشد الفرح عندما يولد له غلام حتى ولو جر عليه الآلام والمصائب ويفضله على الفتاة المهذبة العاقلة لاعتقاده بأن « ألف ولد مجنـــون ولا بنت خاتون » (٢٥٨) ٠

ويعتقد انها الشيطان (٢٥٩) ، يدخل الى بيته فيجـــب مراقبتها وحجرها ، ومنعها من القراءة والكتابة كي لا توصلها الى أغراض فاسدة (٢٦٠) ٠

وهذه الاحكام القاسية كانت صدى لعصر تفككت فيه مثل المجتمع ، وغارات من أمم معادية ، وبين القبائل ، خاصة في العراق حيث كانت تنتهك الاعراض وتستباح الحرمات ، مما اضطر الناس الى حجب نسائهم عن الاعين (٢٦١) ٠

لقد كان حجاب المرأة يحول دون ان يتمتع ابن القـــرن التاسع عشر بما يتمتع به الاوروبي، وفي نفس الوقت كـــان وجود المرأة مدعاة للقيل والقال ان ظهر اسمها او ذكر على غير العادة ، والذي أنفيه مع الدكتور النابغة يوسف عزالدين، ان الشعر العربي في هذه الفترة اعتنى بالمرأة على أنها متعة فأين نبل المرأة والانسانية التي يطفح بها قلبها ؟ ما مركـــز عواطفها وحبها الصادق ؟ كل هذا لم يظهره لنا شعر القرن التاسع عشر (٢٦٢) ٠

يقول الدكتور انيس المقدسي عن المرأة العربية في العصر

.....

(٢٥٨) الالوسي ، غرائب الاغتراب ، ص ١٩٩ ٠
(٢٥٩) يوسف عزالدين ، الشعر العراقي ، اهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر ، ٢٠ ٠
(٢٦٠) (٢٦١) (٢٦٢) نفس المصدر ص ٢٠ ، ص ٢٠، ص ١٦٥٠

Twitter: @abdullah1994

الحديث ان النظرة اليها لا تخرج عن كونها انسانة لا تقدر على العمل والتفكير في غير شـــؤون البيت ، ويستطرد قائلا ان الفلسفات الحديثة التي حاولت قدر الامكان ان تساوي المرأة بالرجل فقد بقي ما تقوله في هذا المجال شيء وما يطبق فعلا شيء آخـر (٢٦٣) ٠

وفي الحديث عن المرأة العربية هنا سـأبدأ بناحيتين الاولى :

أ ـ نظرة الى المرأة الشرقية في مطلع القرن العشرين ، وأين كانت تقف بالنسبة للمرأة الغربية ؟

كان عبد الحميد العثماني ، حامي الاماكن المقدسـة يشيخ ، وكن النساء يتكاثرن في حرمه ، طالما ان رفقة المرأة وفتنتها ضروريان بعد ان مالت قوته الجسدية الى الانحطاط ، فأضحت النساء رفيقاته في عمله في فراغه ، لكن نفحة القرن العشرين ، كانت تخترق الحرم ، متمهلة متباطئة ، فتتنـاول السلطانات العشاء على الطريقة الفرنسية ، وكل منهن ترتدي الثوب المفضل المستقدم من باريس او فيينا ، ويتناقش حـول آخر رواية فرنسية ، او آخر فضيحة دبلوماسية مع زوجـات أو بنات وزراء السلطان ، وكان عبد الحميد يشـــجع هـذا الاتصال راجيا دائما ان تزوده نساؤه بالمعلومات المفيدة من وزرائه ، واذا لم تصدق هذه المعلومات او خلت من الفـائدة المرجوة ، فان القيل والقال يسليه ويعزيه كثيرا ٠

هل كانت المرأة في هذا الخدر السلطاني تمثـــل امرأة الامبراطورية العثمانية في مطلع القرن العشرين ؟

أليس تاريخ المرأة وعاء ضيقا لا يتسع لغـير الشهيرات

(٢٦٣) الاتجاهات الادبية في العصر الحديث ، ص ٢٥٢ ٠

Twitter: @abdullah1994

مثلما يكتفي التاريخ العام بالتنويه عن الشعوب الغارقة في ظلامها بعبارات غامضة او بالصمت احيانا ؟

ان تاريخ المرأة في هذه الفترة من عهد الامبراطورية العثمانية ، يقول : ان تاريخ المرأة مرتبطا بتاريخ الرجل ، وبتعبير آخر ، كان الرجل متبوعا والمرأة تابعة ، وهذه العلاقة السببية تفسر كثيرا من واقع المرأة في الامبراطورية العثمانية التي كانت تمتد من أبواب فيينا في أوروبا حتى المحيط الهندي جنوب الجزيرة العربية ، وحتى حدود مراكش الواقعة على المحيط الاطلسي ، في غرب افريقيا ٠

لقد كان الرجل في هذه البقعة الذي لم يبصر ذبالة واحدة من الحضارة الصناعية ، يقدس اسطورة الارض المعطاء ، والمرأة الام ، كانت الانثى التي تغزل الصوف وتنسج الثوب ، ولا تغسل الا يديها ٠٠٠ وتعيش في عزلتها ، وتلقى القتل اذا أخلت بشرف الاسرة ، او أظهرت بعض التمرد على تقاليد بيئتها ٠

كانت راضية مقتنعة بأن الطبيعة اعدتها لهذه الحياة القدرية وكانت سعادتها تفوق سعادة تلك المرأة التي تعيش في اوروبا ٠٠٠ وكانت تعاني لذة المخاض وألمه ٠٠٠ راضية في مصيرها ٠٠٠ وفي الوقت الذي كانت فيه على الجانب الاخر من القارة الاوروبية ، فئات الشبان والشابات ٠٠٠ تمارس شيئا من حرية السياحة في القطارات الحديدية الاوروبية ، وعلى الدراجات لتتعرف الى مناظر الطبيعة وتتمتع بجمالها ٠ كانت المرأة في الامبراطورية العثمانية تشارك الرجال جهودهم في جني ثمار الارض الطيبة ، دون ان تعرف بأن ثمة آفاقا واسعة رحيبة وراء أرض من الحصاد والبيادر سوى « السماء الزرقاء » ٠

في هذا الوقت الذي كانت فيه الاصوات السحرية في

Twitter: @abdullah1994

آسيا تتعالى في التهليل للجبار العظيم دون ان تعرف اكثرية اصحابها القراءة والكتابة ٠٠ كانت القارئات الغربيات يتلون في سهرات اسرهن أقوال الصحافة ، وأنباء المرأة الامريكية التي سبقت نساء العالم اجمع نحو استقلال شخصيتها ٠

وهكذا اختلفت حياة المرأة بين بلد وآخر ، اختلاف الشعوب في أنماط عيشها وحضارتها ومعارفها ٠

ب ـ المرأة العربية بين التأييد والمعارضة :

فتحت أول مدرسة للبنات في عالمنا العربي انشأت في عهد اسماعيل باشا في مصر وقد نظر الرأي العام آنذاك نظرة في غاية السوء الى هذا العمل فكان السبب في ارتفاع صوت الطهطاوي مدافعا داعيا الى تعليم البنات (٢٦٤) ٠

وفي سوريا ولبنان اهتم بطرس البستاني المتوفي سنة ١٨٨٣ بهذا الامر (٢٦٥) ، وكان ابنه سليم من أشد انصار المرأة ولنا في شهرة خطبته التي كان موضوعها « ان التي تهز السرير بيسراها تهز الارض بيمناها » والتي ختمها قائلا: ان النساء أساس البناء التمدني ، ولا يشاد بنيانه الا على ذلك والشعب الذي يحاول ذكوره التقدم دون النساء ، كالرجل الذي يحاول السفر برجل واحدة خير دليل على ذلك ٠

وتبعه في ذلك فارس الشدياق في مجلة الجوائب ، ثم توالت الخطب والمقالات والمظاهرات بشأن المرأة وحقوقها ومقامها في المجتمع بالنسبة للرجل ، وكان جل هؤلاء من المسيحيين يومئذ ، فلم يكن الحجاب من الاقوال البارزة لديهم أمثال صروف وزيدان والطيب الشلبي والطيب بشارة وخليل سعد ووديع الخوري وأديب اسحق ٠

---

(٢٦٤) الهلال عدد ٤٣ ، ١١٣ الثقافة عدد ٢٣٥ ، ص ٩ ٠
(٢٦٥) المقتطف عدد ٨ ، ص ٠٦

Twitter: @abdullah1994

وما ان انبثق القرن العشرين حتى دوى في مصر صوت هز العالم العربي من أقصاه الى أقصاه ، وهو صوت قاسم أمين يدعو ابناء وطنه الى وجوب تعليم الفتاة ، وتخفيف الحجاب او رفعه وتنظيم الزواج والطلاق ومنح المرأة حقوقها الاجتماعية وحريتها الطبيعية مستندا في ذلك الى الآيات القرآنية والاحاديث النبوية محاولا تفسيرها بما يلائم روح العصر ، ولما طلع قاسم بحججه على الشرق العربي ، تصدى له المحافظون فعانى منهم ما يعانيه كل مصلح لا يأنس الى كلامه الرأي العام (٢٦٦) ٠

بيد أن نفحة قاسم أمين لم تكن في رماد ، فقد حركت نفوس محبي التجديد فأخذوا يتجهون بها على صفحات الجرائد وفي المنازل ٠

والى ذلك يشير شاعر النيل حافظ ابراهيم في مطلع قصيدة له :

أقاسم ان القوم ماتت قلوبهم
ولم يفقهوا في السفر ما أنت كاتبه
الى اليوم لم يرفع حجاب خلالهم
فمن ذا تناديه ومن ذا تعاتبه

ولم تقتصر نفحة قاسم أمين على عصره ، فلا زال انجيل دعاة تحرير المرأة حتى يومنا هذا ، فهذا احمد بهاء الدين في تصديره لكتاب قاسم أمين « تحرير المرأة » المطبوع سنة ١٩٧٠ م يقول : « كانت اعادة قراءة هذا الكتاب الذي صدر منذ سبعين سنة ، مفاجأة مثيرة لي » ٠٠٠ والحديث

(٢٦٦) تربية المرأة والحجاب ، محمد طلعت ، محمد حسين هيكل بعد قاسم امين ، ص ٤٣ ٠
(٢٦٧) الشعراء الثلاثة ، للسندوبي ، ٣٥٧ م٠

Twitter: @abdullah1994

عن «تحرير المرأة» في البيئة المصرية، والعربية بـوجه عام، منذ سبعين سنة ... لم يكن فكاهة ولا تسلية ، وانما كـان معاناة صعبة قاسية ، وبعد ان كسب قضية تحرير المرأة نظريا وفكريا ، نستطيع ان نرى الحجاب ، وهو ليس جوهر قضية تحرير المرأة ، ولكنه أبسط مظاهرها ، ما زال سائدا في ما لا يقل عن نصف المدن والقرى العربية ... وان كان الحديث عن تحرير المرأة قد أصبح عاديا مألوفا ... على انه هنا تكمن المفاجأة المثيرة التي ظفرت بها عندما رجعت الى هذا الكتاب اقرؤه من جديد ،ان الحديث الذي يقدمه لنا ليس عاديا ولا مألوفا على الاطـــلاق ، وهو بالتأكيد ليس كتابا قديما في مضمونه وصياغته ، ومنطقه ، ان نوع تناوله للموضـــوع وأفقه وعمقه وألوانه النابضة الحية تجعل المرء يشعر وكأن كاتبه قد نفض يده من كتابته بالامس فقط (٢٦٨) ... وهو ما رأيته شخصيا بعد قراءتي للكتاب كدارس في هذا الموضوع

وهذا أيضا سلامه موسى في حديثه عن هنريك ابســن داعية الشخصية ، وهو يناقش حديـــث ابسن عن المـرأة الاوروبية الحديثة يقول : « وكان مركز المرأة المصرية يحز في صدري كأنه خزي ابدي لولا هذه المحاولات الصغيرة العظيمة في مثل كتابي قاسم أمين ، ثم بعد نصف قرن من نشـــاط هدى شعراوي وسيزا نبراوي ودريه شفيق وأمينة السـعيد وأمثالهن ... » (٢٦٩) .

وعن المرأة العربية في سوريا ، كان المجال في سـنة ١٩٠١ م لجرجي زيدان ، وبعد هذه السنة اخذت الارساليات الاجنبية بتأسيس المدارس للبنات ، وهكذا نرى ان النهضـة

(٢٦٨) قاسم امين ، تحرير المرأة، تصدير احمد بهاء الدين ص٥ـ٠٧.
(٢٦٩) سلامه موسى ، هؤلاء علموني ، اقرأ ١٩٧٢/٣٤٩م ص ٠٦٧

Twitter: @abdullah1994

النسائية الحديثة في عالمنا العربي سارت بحذر وببطء، وأشير هنا الى ان المرأة الجديدة في سوريا قضت أعواما وهي عرضة لانتقاد الجمهور ، وهكذا كان وضع المرأة العربية لا يخرج عن كونه مناقشات ومناظرات ومقالات في الصحف والمجلات والمنابر ٠

وأذكر هنا غير قاسم أمين ممن دعوا الى تحرير المرأة الاستاذ محمد جميل بيهم في كتابين « المرأة في الشرائع والتاريخ » و « المرأة في التمدن الحديث » ليعكس لنا الماضي في الحاضر ، وعبد الفتاح عبادة في نهضة المرأة المصرية والمرأة العربية وله رسالة في تحرير المرأة في الاسلام والفصلين الاخيرين ترجمة لملك ناصف ، مؤسسة النهضة النسوية في مصر ولهدى شعراوي زعيمة الحركة النسائية في مصر ٠

وقد كتب غيره الكثير في هذا المجال ، مما لا يدع لنا المجال في استعراضهم هنا ، أما دور الشعر في جانب المرأة فيمكن ان نأخذ بعض الابيات للدلالة على ذلك ، يقول المرحوم الزهاوي ٠

انما المرأة والمرء سواء بالجدارة
علموا المرأة فالمرأة عنوان الحضارة

اما الرصافي فقد شن حملته داعيا الى تعليم المرأة بجرأة ، ليس بعدها جرأة ، وان كان المجال هنا لا يتسع للاقتطاف من شعره فليس أمامنا الا ان نحيلكم الى ديوانه ص ٣٢١ في قصيدته « المرأة في الشرق » الهلال عدد ٣٠ ص ٧١٤ ٠ الا انه في نفس الوقت واجه نقمة شديدة من المتعصبين ، ونحب ان نشير هنا الى ان شعراء العراق كانوا اكثر جرأة في هذا المجال من زملائهم في مصر ، ولنا في الزهاوي في البيتين الآتيين من قصيدته « الحجاب والسفور » خير دليل فهو يقول :

Twitter: @abdullah1994

مزقي يا ابنة العراق الحجاب فالحياة تبغى انقلابا
مزقيه واحرقيه بلا ريث فقد كان حارسا كذابا

هكذا بدأت حركة مناصرة للمرأة في عصرنا الحديث في وطننا العربي ثم بدأت تخطو خطواتها نحو المطالبة بالحقوق السياسية وبوجوب مساواتها بالرجل في انحاء الحياة العمومية ٠

أما حركة المعارضين ، فقد كانت على أساس المدافعة عن التقاليد الموروثة خشية عواقب الاسراف وسطوة الازياء ، ودرج على هذا السبيل الشاعر حسين الطريقي ، وبهجت الاثري وغيرهم في سائر الاقطار العربية ٠

والفريق الثاني قصر همه على ذم التطرف في التبرج والازياء محاولا ان يحذر الناس من عواقبه الوخيمة ، وكان هذا المجال يشغل بال الادباء منذ اوائل النهضة (٢٧٠) ٠

٧ ـ المرأة العربية الآن واقع وتحليل :

لا زالت المرأة العربية مستودع ضخم من الطاقات الانسانية الكامنة غير المستخدمة وغير المحسوسة بعد ، فلا شك ان المرأة في الوطن العربي تشكل اعظم احتياطي انساني كامن للطبقة العاملة « ريفا ومدنا » ، وانحياز هذا الاحتياطي الى صفوف الطبقة العاملة سيكون له ابلغ التأثير في هذا الوطن ، ان تقدم المرأة العربية الحقيقي لن يصل الى الدرجة التي تريدها هي ما لم تجعل من نفسها طاقة انتاجية فعالة وخلاقة في حياة المجتمع العربي ، وان درجة تقدمها في ذلك هو المقدار الطبيقي للانعتاق العام في مجتمعنا العربي ٠

ان بعض نساء في مجتمعنا العربي لا زالت تعيش بين

(٢٧٠) مجلة الجنان للبستاني ، ص ٧٦٩ ـ ص ٧٧٠ ٠

Twitter: @abdullah1994

الجدران الاربعة لبيتها ولا يسمح لها الا بزيارة بعض الجيران وذلك ما يولد الارق والقلق زيادة على الجهل وهذا ما يطبق بشدة على المرأة في اليمن الجنوبية الشعبية في المدن والريف على حد سواء ، وذلك ما ذهبت اليه احدى الكاتبات في جريدة ١٤ اكتوبر الصادرة في عدن ونقله صوت العرب(٢٧١)

ان المرأة العربية تعاني حتى الآن في الغالبية العظمى من مجتمعنا العربي من عدم حقها في اختيار شريك حياتها، وان استشيرت فهي استشارة شكلية فقط (٢٧٢) ٠

ويذهب مورو بيرجر الى ان البنت تزوج في الوطن العربي وهي غضة ، مما يقلل من قدرتها على فرض رأيها الخاص او اختيارها عندما تكبر (٢٧٣) ٠

وسن الزواج للمرأة العربية يقع بين ١٤ ـ ١٧ سنة ، وقلة قليلة من النساء اللواتي يتزوجن في سن الثلاثين(٢٧٢)

والمرأة المصرية هي المرأة العربية الوحيدة التي تشارك بقدر لا بأس به في الحياة العملية ومهما قيل عن المرأة العربية فانها يجب ان تحافظ على التقليد الحضاري الى جانب اخذها لمكانها المرموق وفق التقدم التكنولوجي الحديث وذلك ما ظهر في وسائل الاعلام المصرية بواسطة زعيمات الحركة النسائية (٢٧٤) ٠

(٢٧١) ٧ـ٨ـ١٩٧٠م الساعة السادسة وثماني دقائق صباحا توقيت فلسطين (٢٧٢) نفس المصدر الساعة السادسة الا خمسة عشر دقيقة بتوقيت فلسطين ٠

(٢٧٢) William Goode, the Family in the Arab East.

(٢٧٣) العالم العربي اليوم ص ١١٤ ، ت٠ محي الدين محمد ، بيروت ١٩٦٣ م٠

(٢٧٤) اذاعة القاهرة ٧ـ٨ـ١٩٧٠ م الساعة العاشرة الا ثماني دقائق صباحا بتوقيت فلسطين ٠

Twitter: @abdullah1994

كما انهن يعترفن بأن حرية المرأة بات الآن معترف بها في وطننا العربي شرط ان لا تتعارض هذه الحرية مع العادات والتقاليد الحسنة المرعية في أمتنا العربية وان ذلك هو الطريق الوحيد للمحافظة على وحدة الاسرة واخراج جيل صالح من الرجال والنساء على حد سواء ، ويذهب بيرجر الى ان : أعمق التغيرات في الاسرة العربية هي حصيلة تحرر المرأة عن طريق التعليم او حريتهن النامية خارج المنزل وبالرغم من ان الحديث عن مساواة للوضع بين الجنسين قد يكون تطرفا ، الاانه لا شك ان النساء العرب يواصلن الطريق نحو المساواة (٢٧٥) ٠

ان حق الانتخاب في أوروبا للنساء اولا منحته النرويج سنة ١٩١٢ م ، بيد انهن لم ينلنه في انجلترا الا في سنة ١٩٢٨ م بعد كفاح طويل شاق ، وفي أمريكا سنة ١٩٢٠ م ، بعد محاولات عديدة شملت كل ولاية بمفردها ، وفي تركيا سنة ١٩٢١ م بيد انه في وطننا العربي منح لهن مع حداثة هذه الحياة عندنا ، فقد منح لهن في مصر وسوريا ولبنان والعراق بصور وحدود مختلفة (٢٧٦) ، اننا لا نريد الحرية على النمط الذي تذكره الاحصائيات الرسمية من عدد المواليد من نسوة بدون أزواج بلغ عام ١٩٦٤ في لندن ٥٧٣٦٨ مولود (٢٧٧)٠

فهذا يقع على عاتق الدولة في مثل هذه الحالة فتح دور للحضانة الى مثل هذه المرأة وطفلها ، فضلا عن كونه منافيا لكل مبادىء الاخلاق والدين وأنواع الحريات ، علينا أن ننظر الى حرية المرأة عندنا ، على أنها جزء لا يتجزأ من حضارتنا وتاريخنا وعقيدتنا ٠

---

(٢٧٥) بيرجر ، المصدر السابق ، ص ١٣٧ ٠

(٢٧٦) محمد عبدالله عنان ، المذاهب الاجتماعية الحديثة ، ص٢٣٠

(٢٧٧) الاخبار المصرية ١-١-١٩٦٤م٠

Twitter: @abdullah1994

يقول فرويد عما لحـــق بالمرأة في الحضارة الغربية الحديثة : « بلغت درجة الفساد الى أننا اصبحنا ننظر الى بعض الحالات غير الطبيعية وكأنها أمور عادية » ٠

وبعد أن يستمر في حديثه عن درجة الفساد يعلق على ذلك قائلا : ان ذلك كثيرا ما يهبط وينحط الى درجة البـذاءة والفســـق (٢٧٨) ٠

وهذا يعود لتفكك الاسرة الغربية بالطبع ، في حين انه في وطننا العربي ، بالرغم من ان العلاقات تتغير يوما فيوم بين الرجال والنساء الا أنها ما زالت تحكمها قوانين صارمـــة وحكيمة للمقابلات والرفقة وتكوين الاسرة الجديدة ، فتكوين الاسرة المتين عندنا وهي أصغر وحدة اجتماعية في وطننا ، تعلل تماما قول مورو بيرجر من ان اختلاط الشباب والنساء والمواعيد والمصاحبة كما نعرفها في الغرب ، ما زالت غريبة على المجتمع العربي في متسعه (٢٧٩) ٠

ان المرأة الفرنسية لم تحصل على الحقوق التي حصلت عليها المرأة العربية المسلمة في يوم من أيام حياتها ، فلـــم يسمح لها حتى التوقيع على عقود الصرف « امضاء العقـود المالية » وان حدث الا في عام ١٩٣٨ م ، يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي « ومع ما دخل على ذلك من تعديلات فيما بعد فان كثيرا من آثارها لا يزال ملازما لوضع المرأة الفرنسية حتى الوقت الحاضر » (٢٨٠) ٠

وفي بريطانيا ظلت النساء حتى عام ١٨٥٠ م غـــير معدودات من المواطنين وحتى عام ١٨٥٠ م بدون حقـــوق

.....

(٢٧٨) النظرعية الجنسية واثرها فيالمجتمع، د٠ احمد طلعت ص٠٩٨
(٢٧٩) العالم العربي اليوم ، ص ١١٧ ٠
(٢٨٠) الحرية في الاسلام ، ص ١٨ ٠

Twitter: @abdullah1994

شخصية ويذكر الدكتور احمد شلبي انه عندما كان طالبا في جامعة كمبردج لم يكن لهن الحق في الاشـــتراك في أندية الطلاب ولا اتحاد الطلبة في الجامعة العريقة ، ولم تســـو جامعة أكسفورد بين الطلاب والطالبات الا بقرار صـدر في يونيو سنة ١٩٦٤ (٢٨١) ٠

ومما يلفت النظر في عام ١٩٧٠ م ، ذلك الاضراب الذي دعت اليه المنظمة الوطنية للنساء في أمريكا ، لكي تدفـــع الشركات للمرأة قيمة راتب الرجل ، وألا تقوم بعمل تابـــع للرجل ، وألا تبقى كائنا غير متكافىء مع الرجل ٠

وبعد هذه النماذج ارى ان انوثة المرأة تفرض عليهـا بطبيعتها ان تكون متجاوبة تملك الطاقة على الملائمة والقدرة على التقبل وعليه يكون من مقتضيات العصر في عالمنـــا العربي ان عليها ان تعدل من اتجاهها كلما كانت هناك حاجة ماسة الى التعديل فيه ، فاذا عني بالحديث عن المرأة عـدم استخدام الرجل لقوته الشخصية وعدم اساءة استخدامـــه ترأسه الاسرة فذلك منطق الطبيعة البشرية وعلى العموم اذا خرجت النظرة عن ذلك شوهت حرية المرأة عندنا ، ان المرأة لا يهمها الشعار الذي يلاصق الجسد بقدر ما يهمها الثـوب الذي تلاقي به الناس وعليه فعلى المرأة عندنا ان تجعل الناس ينظرون الى أخلاقها ومطالبتها بحريتها نظرتها الى اختيـار ثوبها وعندئذ يتلاقى الظاهر مع الباطن وتفرض قيمتها على المجتمع بنفسها (٢٨٢) ٠

(٢٨١) الاهرام ٢٦-٦-١٩٦٤ م٠
(٢٨٢) د٠ زكي مبارك ، العشاق الثلاثة ، ص ٩٦ ٠
(٢٨٣) تحرير المرأة ، ص ٤١ ، القاهرة ١٩٧٠ م٠

Twitter: @abdullah1994

همســـة أخـــيرة

انني أرى في تحرير المرأة على معنى من اداء وظيفتها في الاسرة كأم وفي المجتمع كعضو عامل من مقتضيات العصر الذي نعيش فيه ، لان العصر الذي كانت فيه محـــرومة من استعمال قوتها البدنية والعقلية قد انتهى ، ويجـب أن تنحاز الى صفوف الطبقة العاملة ، كما اذا أرادت ان تكون لحريتها معنى ولوجودها قيمة ، ان النساء في كل بلد يقدرن بنصف سكانه على الاقل ، وعدم انعتاق هذا النصف بكامل طاقته ، يعني حرمانه من الانتفاع بأعمال نصف عدد الامة ، وفيه من الضرر الجسيم ما لا يخفى سواء للامة ، او للمرأة نفسها ٠٠ ويجب أن تضع المرأة في اعتبارها ان تفوق الرجل عليها في القوة البدنية والعقلية في الماضي ، كما يقول قاسم أمين : « انما لانه اشتغل بالفكر والعمل اجيالا طويلة كانت المـرأة فيها محرومة استعمال القوتين المذكورتين ٠٠٠ » ، والمرأة العربية في رأينا ما زالت في طور البداية في هذا السبيل ، وهو ما نشدد على المرأة العربيـة ان تلتزم به ايمانا ويقينا ، ان ارادت ان تقف مع الرجل على قدم المساواة او في الحاضر أو المســـتقبل ٠

علي عثمان

Twitter: @abdulllah1994

الفهـــرس

مدخل الى الموضوع

المرأة في العصور القديمة

١ ـ خلق المرأة والمرأة في العصور الحجرية
٢ ـ المرأة في العصر النحاسي
٣ ـ انقلاب الحضارة في بلاد الرافدين
٤ ـ المرأة في مدينة عصر البرونز في مصر والهند
٥ ـ في مصر ، عصر الاهرام ـ عصر الاقطاع ـ عصر الامبراطوريـــة
٦ ـ مركز المرأة عند البابليين
٧ ـ المرأة الحيثيـة
٨ ـ نقـــاش
٩ ـ المرأة اليونانية
١٠ ـ المرأة الرومانية
١١ ـ المرأة عند القبائل البربرية
١٢ ـ المرأة في جنوب شرق وشرق آسيا
١٣ ـ المرأة في العهد القديم وعند العبريين
١٤ ـ المرأة العربية قبل الاسلام

Twitter: @abdulllah1994

المرأة في العصور الوسطى

١ ـ المرأة في الديانة المسيحية وموقف الكنيسة من المرأة

٢ ـ المرأة في أوروبا ، العصور الوسطى

٣ ـ المرأة البيزنطيـــة

٤ ـ المرأة في الاسلام والدولة العربية الاسلامية

٥ ـ المرأة في العهد العباسي

٦ ـ المرأة الاندلســية

٧ ـ المرأة الفاطمية والمرأة عند الدروز

٨ ـ المرأة في العهد الاتابكي والايوبي

٩ ـ المرأة في العهد المملوكي

١٠ ـ المرأة والغناء في أزهى عصور الاسلام

المرأة في العصر الحديث

١ ـ المرأة الاوروبية من مطلع العصور الحديثة حتى الآن

* ـ كيف أثر قيام الحربين العالميتين على مركز المرأة الاوروبيـــة ؟

٢ ـ المرأة الامريكيـة

٣ ـ المرأة في الهند الحديثة

٤ ـ المرأة في أفريقيا السوداء

٥ ـ المرأة في الاشتراكية

٦ ـ المرأة العربية في العصر الحديث مع نظرة مقارنة الى المرأة الغربية

همســة اخـيرة

Twitter: @abdulllah1994

ل. ل.